العنوان: المناهِجُ الدِّراسِيَّةُ، علوم القُرآن.

نُبذَةٌ مُختصَرة: تُعتَبَرُ هذه المادَّة العِلمِيَّةُ تَهْذِيباً واخْتِصاراً لِلمناهِجِ الدِّراسِيَّة في المملكَة العربيَّة السُّعوديَّة المُوَجَّهَةِ لِلطُّلّابِ، ومِن ضِمْنِ هذه المادَّة ما تَختَصُّ بِدِراسَةِ عِلْمِ عُلومِ القُرآن، وإنَّ مِن أهمِّ ما اشتمَلَ عليه هذا المقَرَّر منِ المباحِث والمسائِل ما يلي:

1- بيانُ نشأةِ علومِ القرآنِ، وتَطوُّرها، والتَّعريف بهذا العِلْمِ.
2- توضِيحُ المقصودِ بجمعِ القرآن الكَريمِ، وأنَّه على ثلاثَة أنواعٍ: الجمع بمعنى الحفظِ في الصُّدور، والجمع بمعنى الكِتابَة في المصاحِفِ، والجمع بمعنى بالمصحَفِ المرَتَّل أو الجمْعِ الصَّوتيّ.
3- بيانُ العَدِيدِ مِن أنواعِ عُلومِ القُرآنِ التي تناولَها أهل العلمِ في مُصنَّفاتِهم مِن خِلالِ التَّعريف بها، وتَوضِيحها، وذَكْرِ أبرَزِ ما يتَعَلَّق بها بأسلوبٍ علمّيٍ رصِينٍ، وتأصيلٍ عِلميٍّ مَتِينٍ، ومنِ أهمّ تلك الأنواع: المكِّي والمدَنِيّ، وأسباب النُّزول، والمحكم والمتشابِهِ، والنّاسِخ والمنسوخ، وقَصص القرآن وأمثاله، وغير ذلك.
4- الكَلامُ عن نَشأَةِ علمِ التَّفسِير، وبَيانُ مَناهِج المفسِّرين، مع التَّعرِيفِ بِأشْهَرِ كُتُبِ التَّفسِير، سواء ما كان منها مَأثوراً أو بِالرَّأي، مُتقَدِّما كان المفَسِّرُ أو مُتَأخِّراً.

عُلُومُ القُرآنِ

لِلصَّفِّ الأوَّل الثّانَوِي

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأوّل: نَشْأةُ عُلومِ القُرآنِ وتَطَوُّرها وتَعرِيفُها

المَبْحث الأوَّل: نَشْأَة عُلُومِ القُرآنِ الكَرِيمِ

نَشْأَةُ عُلُومِ القُرآنِ الكَرِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرفِ الأنبياء والمرسلين، نَبِيِّنا محمَّد وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعد: فقد كان النّاسُ في جاهِلِيَّةٍ جَهْلاءَ وضَلالَةٍ عَمْياءَ، حيث كانوا يعبُدون الأوثانَ والأصنامَ والأشجارَ وغيرَ ذلك مِن دون اللهِ تعالى، وكانوا يَدْفنونَ أولادَهم أحياءً خَشْيَة الجوعِ والعارِ، وحين أرادَ الله بهذه الأُمَّة خيراً أرسلَ إليهم رسولَه ﷺ، وأنزلَ عليهم خيرَ كُتُبِه القُرآن الكريم؛ لِيُخْرِجَ النّاسَ بِه مِن الظُّلمات إلى النُّور، وقد أدرَك هؤلاء إعجازَ القُرآن وأنَّه لا يمكِن أن يكون كَلامَ بَشَرٍ فآمنوا بِه واتَّبعوه، وأقبلوا عليه يَتلوُنَه ويحفَظونَه ويفسِّرونَه ويعمَلون به، وتَنافَس الصَّحابَة رضوان الله عليهم في ذلك فكانوا لا يتَجاوَزُون عَشْرَ آياتٍ حتى يَتَعلَّموا ما فيها مِن العِلْم والعَمَلِ، وبَلَغ مِن عِلْمِهم أنَّ عبد اللهَ بن مسعود رضي الله عنه كان يقول:" واللهِ الذي لا إلَه غيره ما نزلت سُورَةٌ مِن كِتابِ اللهِ إلّا وأنا أعلَم أين نَزَلَت، ولا نَزَلت آيَةٌ مِن كتابِ اللهِ إلّا وأنا أعلَم فِيمَ أُنْزِلَت، ولو أعلَم أحداً منِّي أعلَم بِكِتابِ اللهِ تَبْلُغه الإبِل لرَكِبْتُ إليه". ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو على المنبر:" سَلوني فواللهِ لا تَسألوني عن شَيْءٍ إلّا أَخْبَرتُكُم، وسَلوني عن كِتابِ اللهِ، فوالله ما مِن آيَةٍ إلّا وأنا أعلَم أَبِلَيْلٍ نَزَلَت، أم بِنَهارٍ، أم سَهْلٍ، أم في جَبَلٍ ".

وما زال الصَّحابَة رضي الله عنهم يقرأون القُرآنَ ويتَدَبَّرونَ مَعانِيه ويتَدارسون أحكامَه حتى حَفِظَه كَثِيرٌ منهم، واشْتَهر آخَرون بِدِقَّةِ تَفْسِيرِه، واشْتَهَرت طائِفَةٌ بِأحكامِ تِلاوَتِهِ، وبهذا نَشأَت عُلومُ القُرآنِ.

تَطَوُّر عُلُومِ القُرآنِ الكَرِيمِ

بعد اتِّساعِ الفُتوحات الإسلامِيَّة ودُخولِ بُلدانٍ كَثِيرَةٍ في الإسلامِ انتَشَر الصَّحابَة رضوان الله عليهم في البُلدانِ المفتوحَةِ يُعَلِّمونَ أهلَها القرآنَ، ويُفَسِّرون لهم مَعانِيه، ويَنشُرون عُلومَه ومَعارِفَه، وكان الصَّحابَة رضي الله عنهم يجلِسون في المسجِد أو في غيرِه ويَلْتَفُّ حولهم الطُّلّاب؛ مِنهم مَن يَكْتُب ويُدَوِّن، ومنهم مَن يَكْتَفِي بِالسَّماع والفَهْمِ والحفظِ، فنَشَأت ما يمكن أن نُسَمِّيه بالمعنى الحديث ((مَدارِس التَّفسير))، وهي كَثِيرَةٌ أشهَرها ثَلاث مَدارِس، هي:

1- مَدرَسة عبدِ الله بن عبّاس رضي الله عنهما في مكَّة:

وهو حَبر هذه الأُمَّة وتُرجمان القُرآنِ، وهو الذي دَعا له الرَّسولُ ﷺ بِقَوْلِه:" اللَّهمَّ فَقِّهه في الدِّينِ وعلِّمه التَّأوِيل ".

ومِن أشهَر طُلّابِه: سعيد بن جُبَير، ومجاهِد بن جَبْر، وعِكْرِمَة، وطاوس، وعَطاء بن أبي رَباح.

2- مدرسة أُبيّ بن كَعْب رضي الله عنه بالمدِينَة النَّبوِيَّة:

وقد كان رضي الله عنه أحد كُتّاب الوَحْي وإمام القُرّاء، شَهِد له الرَّسولُ ﷺ بقوله:" أقرَؤُهم أُبيّ بن كعب".

ومِن أشهَر طُلّابه: زَيْد بن أَسْلَم، وأبو العالِية الرّياحِي، ومحمَّد بن كَعْب القُرَظِي.

3- مَدْرَسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بِالكُوفة:

وهو أوَّل مَن جَهَر بِالقُرآن بمكَّة وأسمعَه قُريشاً بعد الرَّسول ﷺ، قال عنه رسولُ الله عليه الصَّلاة والسَّلام:" مَن أحبَّ أن يَقرَأ القرآنَ غَضّاً كما أنزِلَ فليَقرأه على قِراءَة ابن أمّ عَبْد "، يعني ابن مسعود، وممّا قالَه رضي الله عنه:" واللهِ لقد أخَذْت مِن فِي رَسولِ اللهِ ﷺ بِضْعاً وسَبْعِين سُورَةً ".

ومِن أشهَر طُلّابِه: عَلْقَمة بن قَيْس، والشَّعبِيّ، وأبو عبد الرَّحمن السُّلَمِي، وقد كان هؤلاء الصَّحابَة وغيرهم يُعلِّمونهم القُرآنَ وتِلاوَتَه وتَفْسِيرَه وأحكامَه، ويُبَيِّنون لهم أسبابَ النُّزولِ والنّاسِخ والمنسوخ وغير ذلك مِن عُلومِ القُرآن، ولم يُؤَلِّف أَحَدٌ مِن الصَّحابَة كِتاباً؛ بل كانوا يُعَلِّمون بِالرِّوايَةِ والتَّلقِينِ.

ثم بدأ التّابعون بِالكِتابَةِ والتَّدوِين في عُلومِ القُرآن، فألَّف الحسَن البَصرِيّ (ت 110هـ) في القِراءاتِ، وألَّف عَطاء بن أبي رباح (ت114هـ) في غَرِيب القُرآنِ، وألَّف قتادَة بن دعامَة السَّدوسِي في النّاسِخ والمنسوخ.

ثم انفتَح باب التَّأليف على مِصْراعَيْه فَأُلِّفَت في عُلومِ القُرآن مُؤلَّفات كَثِيرَةٌ مِن أشهَرِها:

1- تَأوِيل مُشْكِل القُرآن، لابن قتيبة (ت 276 هـ).
2- إعجاز القُرآن، لأبي بكر الباقلاني (ت 403 هـ).
3- المفردات في غرب القرآن، لِلرّاغِب الأصفهاني (ت 502 هـ).
4- التِّبيان في أقسام القرآن، لابن القَيِّم (ت 751 هـ).

واتجَّهت أَنْظارُ العُلماءِ إلى كُتُبٍ تجمَع الكلامَ حولَ عُلومِ القُرآنِ كلِّها، فَتُعَرِّفَ بِكُلِّ عِلْمٍ تَعرِيفاً مختَصراً، ومِن أشْهَر المؤَلَّفات على هذا النَّحو:

1- البُرهان في علوم القرآن، لبرهان الدِّين الزَّركشي (ت 794 هـ).
2- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدِّين السُّيوطي (ت 911 هـ).
3- مَناهِل العِرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزّرقاني (ت 1376 هـ).

والمؤلَّفات في علوم القرآن كَثِيرة جِدّاً، وممّا لا شَكَّ فيه أنَّ التّارِيخَ كلَّه لا يَعرِف كِتاباً دَرَسَه الدّارِسون وألَّف في عُلومِه المؤَلِّفون وصَنَّف فيه المصَنِّفون مِثل القرآن الكريم.

الأسئِلَة:

1- صِف حالَة النّاسِ في الجاهِلِيَّة، وبم أنقَذَهُم اللهُ تعالى ؟
2- كيف كان الصَّحابَة رضي الله عنهم يتعَلَّمون القرآن الكريم ؟، وما المقدار الذي يتَناولُونَه مِن القُرآن في كُلِّ مَرَّة ؟
3- ما مَبْلَغُ عِلْمِ الصَّحابَة رضي الله عنهم مِن القُرآن الكَريم ؟
4- تحدَّث عن نَشأَة مَدارِس التَّفسِير في عَصْرِ الصَّحابَة رضي الله عنهم.
5- ما أشهَر مَدارِس التَّفسِير في عهد الصَّحابة رضي الله عنهم ؟، ومَن أشهَر طُلّابِ كُلِّ مَدْرَسَةٍ ؟
6- متى بدأ التَّدوين لِعلُوم القرآن ؟، مع ذِكْرِ أهَمّ مُؤَلَّفات التّابعين فيها.
7- أُذكر ما تَعْرِف مِن المؤَلَّفات في عُلومِ القُرآن بعد عصر التّابِعِين.
8- اتجَّهت أنظارُ العُلماء إلى تَأليفِ كُتُبٍ تجمَع الحدِيثَ مِن عُلومِ القُرآنِ كُلِّها، أُذكر ما تَعْرِف مِنها.

المَبْحَث الثّاني: التَّعريف بِعُلُومِ القُرآنِ

عُلوم القُرآنِ الكَرِيم

مُرَكَّبٌ إضافِيٌّ مِن كَلِمَتَين (عُلوم) و (قرآن)، أمّا كلمة (عُلوم): فجَمْعُ عِلْم، والعِلْمُ: مَصْدَر مُرادِف لِلْفَهْم، وأمّا (القُرآن) لغة: مَصدر قَرَأَ، فقيل: معنى (قرأ): تَلا، وسُمِّي بِه المقروءُ تَسْمِيَةً لِلمَفْعولِ بالمصدَر، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [الإنسان: 17 - 18]، أي: قِراءَته.

وقِيل: معنى (قَرأ): جَمَع، ومنه قَرَأَ الماءَ في الحوضِ: إذا جَمَعَه، ومنه سُمِّيَ القُرآنُ قُرآناً؛ لأنَّه جَمَع القَصَص، والأَمْرَ والنَّهْيَ، والوَعْدَ والوَعِيدَ، والآيات والسُّوَر بَعضَها إلى بعضٍ.

والقُرآنُ في الاصطِلاح: كَلامُ اللهِ المُنَزَّل على محمَّد ﷺ المُتَعَبَّد بِتِلاوَتِه.

شَرح التَّعرِيف:

قولنا: كَلامُ اللهِ: خَرَج به كَلامُ غيرِه مِن الإنسِ والجنِّ والملائِكَة.

المُنَزَّل: خَرج منه ما اسْتَأْثَر اللهُ بِعِلمِه ولم يُنَزِّله على أَحَدٍ مِن خَلْقِه.

على محمَّد ﷺ: خرَج به المنزَّل على غَيْرِ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، كالتَّوراةِ والإنجيلِ.

المُتَعَبَّد بِتِلاوتِه: خَرجَت به الأحادِيث القُدسِيَّة.

الفَرْقُ بين القُرآنِ الكَريم والأحادِيث القُدسِيَّةِ

ذَكَرَ العُلماءُ فُروقاً عَدِيدَةً بين القرآنِ الكريم والأحاديث القُدُسِيَّة، منها:

أوّلاً: أنَّ القُرآنَ الكريم تحدَّى اللهُ النّاسَ أن يَأْتُوا بمثْلِهِ أو بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه أو بِسُورَةٍ مِن مِثْلِه أو بحدِيثٍ مِثله فَعَجَزوا، أمّا الأحاديث القُدسِيَّة فلم يقَع بها التَّحدِّي.

ثانياً: أنَّ القُرآنَ الكريم مَنْقُولٌ بِطَرِيقِ التَّواتُرِ، فهو قَطْعِيُّ الثُّبوتِ كُلّه، سُوَرُه وآياتُه وجمَلُه ومُفرداتُه وحُروفُه وحَركاتُه وسَكناتُه، أمّا الأحادِيث القُدسِيَّة فلا يُشتَرط فيها التَّواتر، وأغلَبُها أحادِيث آحاد، وهي ظَنِّيَّةُ الثُّبوتِ.

ثالثاً: أنَّ القرآنَ الكَريم مِن عند اللهِ لَفْظاً ومعنى، أمّا الحدِيث القُدسِيّ فمَعناه مِن عند اللهِ، أمّا لَفْظُه فالصَّحِيح أنَّه مِن عندِ الرَّسولِ ﷺ.

رابعاً: أنَّ القرآنَ الكريم مُتَعَبَّدٌ بِتِلاوَتِه مِن وَجْهَيْن:

الأوَّل: أنَّ الصَّلاةَ لا تَصِحُّ إلّا بِه دون الحدِيث القُدسِيّ، فلا يُتْلى في الصَّلاةِ.

الثاني: أنَّ ثَوابَ التِّلاوَةِ لِلقرآنِ ثَوابٌ عَظِيمٌ أفضَل مِن ثَوابِ قِراءَةِ الأحادِيثِ القُدسِيَّة أو غيرِها.

خامِساً: أنَّ القرآنَ الكريم لا يمسّه إلّا المطَهَّرون، أمّا الحديث القُدسِيّ فيَمَسُّه الطّاهِر وغير الطّاهِر، إلى غير ذلك مِن الفُروقِ.

أسْماءُ القُرآنِ الكَرِيمِ وصِفاتُه

ورَدت لِلقرآنِ الكَريم أسماء وصِفات كثيرَة، ولِكَثْرتِها فقد أفرَدَها بعضُ العُلماءِ بمؤلَّفاتٍ مُستَقِلَّة فقد ألَّف ابن القَيِّم كتاب " شرح أسماء الكِتاب العزيز " وألَّف الشَّيخُ صالح بن إبراهِيم البلِيهِي كِتاباً مِن جُزأَين اسمه:(الهدى والبَيان في أسماءِ القرآن).

ومِن أسماءِ القُرآن:

(القرآن): قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

(الكِتاب): قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢).

(الفُرقان): قال تعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان:1).

(التَّنزيل): قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٩٢).

ومِن صِفاتِه:

(المُبارَك): قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (الأنعام: ٩٢).

(المُبِين): قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة: ١٥).

(المَجِيد): قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ (البروج: ٢١).

وغير ذلك مِن الأسماء والصِّفات.

تَعرِيفُ عُلومِ القُرآنِ كَفَنٍّ مُدَوَّنٍ:

وتُعَرَّف عُلُومُ القُرآنِ بأنَّها " مَباحِث تَتَعَلَّق بِالقُرآنِ الكَرِيم مِن ناحِيَة نُزولِه، وجَمْعِه، وقِراءَتِه، وتفسِيرِه، وناسِخِه ومَنْسُوخِه، وأسبابِ نُزولِه، ومَكِّيِّه ومَدَنِّيِّه، ونحوِ ذلك "، ويُسمَّى هذا العِلْم بـ" أُصول التَّفسِير"؛ لأنَّه يَتَناوَل العُلومَ التي لا بُدَّ لِلمُفَسِّر مِن مَعرِفَتِها والعِلْمِ بها.

الأسئِلَة:

1- أُذكر تَعرِيفَ كَلِمَة (عُلوم) لغةً.

2- عَرِّف كَلِمَة (القرآن) لغةً.

3- عرِّف القُرآنَ اصْطِلاحاً، مع شَرحِ التَّعريف.

4- أُذكر ما تعرِف مِن الفُروقِ بين القُرآنِ والأحاديث القُدسِيَّة.

5- ألَّف بعضُ العُلماءِ في أسماءِ القُرآنِ وصِفاتِه عِدَّة مؤلَّفاتٍ، أُذكر ما تَعرِف مِنها.

6- لِلقُرآن أسماء وصِفات كَثِيرة، أُذكر ما تَعْرِف منها، مع الدَّلِيل.

7- ما تعرِيف عُلومِ القُرآن كَفَنٍّ مُدَوَّنٍ ؟

الباب الثّاني:نُزولُ القُرآنِ الكَرِيم

نُزولُ القُرآن الكَرِيم:

في القُرآنِ الكَريم آياتٌ كَثِيرَةٌ تَتَحَدَّث عن نُزولِ القُرآنِ، منها ما يَدُلُّ على أَنَّ نُزولَ القُرآنِ كان في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ، وهي قوله تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ (الدخان: ٣).

وقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١).

ومِن آياتِ القُرآن ما يدلُّ على أنَّه نَزَلَ مُفَرَّقاً، ومنها قوله تعالى:﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء: ١٠٦).

وقولـه سـبحانه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (الفرقان: ٣٢).

ومِـن المعلـوم أنَّ القـرآنَ أُنْـزِلَ علـى الرَّسـولِ ﷺ في ثَـلاثٍ وعِشـرِينَ سَـنَةً، وقـد جمـع العُلمـاءُ بـين هـذه الآيات:

فقالت طائِفة: إنَّ الآياتِ الأولى تَدُلُّ على أنَّ القُرآنَ ابْتَدَأَ نُزُولُه في لَيْلَةِ القَدْرِ، وهي اللَّيلَة المبارَكَة في شَـهْرِ رَمَضـان، ثم اسْـتَمَرَّ نُزولُـه بعـد ذلـك كمـا تَـدلُّ عليـه الآيـات الأخـرى، وعلـى هـذا القَـوْلِ فليس لِلقُرآنِ إلّا نُزولاً واحِداً مُنَجَّماً – أي مُفَرَّقاً – على الرَّسولِ ﷺ.

وقالت طائِفَة: أنَّ لِلقُرآنِ نُزولَيْن:

فالآياتُ الأولى تدلُّ على النُّزولِ الأَوَّل وهو نُزولُ القُرآنِ جمِيعاً مِن اللَّوحِ المحفوظِ في السَّماءِ السّابِعَة إلى بَيْتِ العِزَّةِ في السَّماء الدُّنْيا، وكان ذلك في ليلةِ القَدْر مِن شَهْر رَمضان.

والآيات الأُخرى تدلُّ على النُّزولِ الثّاني، وهو نُزولُ القُرآنِ مُفَرَّقاً مِن بَيْتِ العِزَّةِ في السَّماءِ الدُّنيا إلى الرَّسول ﷺ، وكان ذلك في ثَلاثٍ وعِشْرين سَنَةً، وعلى هذا القول فإنَّ لِلقُرآنِ الكَريم نُزولَيْن: النُّزول الأوَّل جملَةً، والنُّزول الثّاني مُفَرَّقاً.

حِكْمَة نُزولِ القُرآنِ مُنَجَّماً:

وقد ذَكَر العُلماء حِكَماً عَدِيدَةً لِنُزولِ القُرآنِ مُفَرَّقاً على الرَّسول ﷺ، ومنها:

1- تَثْبِيت فُؤادِ الرَّسولِ ﷺ:

فَكُلَّما اشْتَدَّ الأذى مِن المشركين على الرَّسول ﷺ نَزَلَ عليه القرآن، ففرَّج همَّه، وأزالَ غَمَّه، وثَبَّت قَلْبَه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾ (الفرقان: ٣٢).

2- اسْتِمرارُ التَّحَدِّي والإعجازِ:

إذ لو نَزَلَ القُرآن مَرَّةً واحِدَةً لكان التَّحدِّي والإعجاز كذلك، ولكنَّ القرآنَ نَزَلَ في أوقاتٍ مختَلِفَةٍ، وكلَّما نَزَلَ شَيْءٌ مِن القُرآنِ عَجزوا عن الإتيانِ بمثْلِه، فتَجَدَّد ثُبوت الإعجازِ.

3- التَّدرُّج في التَّشريعِ وفي تَربِيَةِ الأُمَّةِ:

وذلك أنَّ النّاسَ كانوا مُشركين لا يعلمون شيئاً مِن أحكامِ الإسلامِ، ولو نَزَل عليهِم القُرآن جميعاً لَشَقَّ عليهِم العَمَلُ بِه، فبِرَحْمَةٍ مِن اللهِ أنزَلَ القُرآن مُنَجَّماً لِتَنْزِل الأحكامُ شيئاً فشيئاً. وهناك حِكَم كَثِيرة غير ذلك.

الأسئِلَة:

1- اقرأ الآيات التي تَدُلُّ على نُزولِ القُرآنِ جملَةً في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ.

2- اقرأ الآيات التي تدلُّ على نُزولِ القُرآنِ مُفَرَّقاً.

3- أُذكر أقوالَ العُلماءِ في الجمع بين هذه الآيات.

4- اِشْرَح حِكَمَ نُزولِ القُرآنِ مُنَجَّماً.

الباب الثّالث

المَبْحَث الأوَّل: جَمْعُ القُرآنِ الكَرِيمِ

المَقْصُود بِجَمْعِ القُرآنِ الكَرِيم

يُطلَق جَمْعُ القُرآنِ ويُراد بِه أحَد ثَلاثَةِ مَعانٍ:

الأوّل: جمعُه بمعنى حِفْظِه في الصُّدورِ.

الثّاني:جمعُه بمعنى كِتابَتِه وتَدوِينِه.

الثّالث: جمعُه بمعنى تَسجِيلِه تَسْجِيلاً صَوْتِيّاً.

وسنَتكلَّم عن كلّ نَوْعٍ بإيجازٍ:

أوّلاً: جَمْعُه بِمَعنى حِفْظِه:

ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾(القيامة: ١٧)، أي: علينا أن نجمَعَه في صَدْرِك فلا تَنْسى منه شَيئاً، وقد حَفِظَ الرَّسول ﷺ القرآنَ، وحَفِظَه العَدَد الكَثِير والجمّ الغَفِير مِن الصَّحابَة ومِن التّابعين، فكانوا يَقومون بِه آناءَ اللَّيل وأطراف النَّهار، ويَهْجرونَ لَذَّة النَّومِ وراحَتَه، إيثاراً لِلَذَّةِ القِيامِ بِه وتِلاوَتِه، فكانوا يَقرأونَه والنّاس نِيامٌ، وكان الرَّسولُ ﷺ يأمُرهم بهذا ويُندُبهم إليه ويحثُّهم عليه.

وما زالَ المسلِمون بحمدِ اللهِ يحفَظون القُرآنَ وسَيَظَلُّون كذلك إلى يوم القِيامَة إن شاء الله تعالى.

ثانياً: جمعه بمعنى كتابته وتدوينه: وقد مرَّ بِثَلاثِ مَراحِل:

المَرحَلة الأُولى: جَمْعُه في عَهْدِهِ ﷺ:

لم يكُن القُرآن في عَهْدِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم في مُصْحَفٍ واحِد؛ بل كان مُفَرَّقاً، فقد اتَّخذَ الرَّسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم عَدَداً مِن الصَّحابَة لِكتابَةِ ما ينزِل عليه مِن القُرآن، وهم كُتّاب الوَحْي، وكانوا مِن خِيرَةِ الصَّحابَةِ، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وغيرهم رضي الله عنهم.

وكان ﷺ يخبِرهم بموضِع الآيَة مِن السُّورَة فيكتُبونها على ما تَيَسَّر لهم مِن العُسُبِ، واللِّخاف – وهي الحجارَة الرَّقيقَة – والجلود وعِظام الأكتافِ ونحوِ ذلك.

ولم يجمَعْ ﷺ القرآنَ – كما قُلنا – في مُصْحَفٍ واحِدٍ لأسبابٍ، منها:

1- عَدَم وُجودِ الدّوَاعي لذلك مثل ما وُجِد مِن الدَّواعِي في عَهْدِ أبي بكر وفي عهد عثمان رضي الله عنهما.

2- أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان بِصَدَدِ أن يَنْزِل عليه الوَحْيُ بِنَسْخِ تِلاوَةِ ما شاءَ اللهُ مِن آيَةٍ أو آيات، أو أن يَنْزِل بآيةٍ أُخرى، ولو جُمِعَ في مُصْحَفٍ واحِد لَكانَ عُرْضَةً لِلتَّغيير والتَّبدِيل كلَّما نَزَلَ وَحْيٌ بِنَسْخِ آيَةٍ أو بِنُزولِ آيَةٍ، وهذا أمرٌ فيه غايَةُ المشَقَّة.

المَرحلة الثّانية: جمعُه في عهد أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ:

سَبَبُه: اسْتشهاد عَدَد كَبِير مِن حُفّاظ القُرآن الكريم في حُروبِ الرِّدَّةِ، فخَشِي الصَّحابَة أن يذهَبَ شيءٌ مِن القُرآن بِذَهابِ حَفَظَتِه، فاتَّفقوا على جَمْعِ القُرآنِ كلِّه وكِتابَتِه وتَدوِينِه في مُصْحَفٍ واحِدٍ، وكان ذلك في السَّنَة الثّانِيَة عَشرَة بعد مَوْقِعَة اليَمامَة.

قِصَّة هذا الجَمْع:

لَمّا تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ارتَدَّت كَثِيرٌ مِن قَبائِلِ العَرَبِ عن الإسلامِ، فأرسَل إليهم أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ الجيوشَ لحربِهِم، وكان مِن هذه الحروب غَزْوَة اليَمامَة التي قُتِلَ فيها عَدَدٌ كَبِيرٌ مِن قُرّاءِ الصَّحابَة بَلغوا نحو سَبْعِين قارِئاً، فهالَ ذلك عُمَر بن الخطاب ﷺ وخَشِي أن يَذْهَب شَيْءٌ مِن القُرآن بِذَهاب الحفّاظ، فدَخَل على أبي بكر ﷺ واقتَرح عليه أن يجمَع القُرآنَ في مُصحَفٍ واحِدٍ حتى لا يَضِيعَ منه شَيْءٌ، وقد أخرَج البُخاري في صَحيحِه عن زيدِ بن ثابت ﷺ أنَّه قال:" أرسَل إليَّ أبو بكرٍ مَقْتَل أَهْلِ اليَمامَةِ، فإذا عُمَر بن الخطّاب ﷺ عندَه، قال أبو بكر ﷺ إنَّ عُمَر أتاني فقال: إنَّ القَتْلَ قد اسْتَحَرَّ يَومَ اليَمامَةِ بِقُرّاءِ القُرآن وإني أخشَى أن يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرّاءِ بِالمواطِن فيَذهَب كَثِيرٌ مِن القُرآنِ، وأنّي أرى أن تَأْمُرَ بجمعِ القُرآن، قلت لِعُمَر:كيف تَفْعَل شَيْئاً لم يَفْعَله رَسولُ اللهِ ﷺ، قال عمر: هذا واللهِ خَيْرٌ، فلم يَزَل عُمَر يُراجِعُني حتى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لذلك، ورأَيْتُ في ذلك الذي رَأى عُمَر، قال زيد: قال أبو بكر: إنَّك رَجُلٌ شابٌّ عاقِلٌ لا نَتَّهِمُك وقد كنتَ تَكْتُب الوَحْيَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ، فتَتَبَّع القُرآنَ فاجْمَعْه، فوالله لو كَلَّفوني نَقْلَ جَبَلٍ ما كان أثْقَل عليَّ ممّا أمَرَني به مِن جَمْعِ القُرآنِ، قلت:كيف تَفعَلون شَيئاً لم يَفْعَلْه رَسولُ اللهِ ﷺ، قال: هو واللهِ خَيْرٌ، فلم يَزَل أبو بَكْر يُراجِعُني حتى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلذِي شَرَح له صَدْر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتَتَبَّعْتُ القُرآنَ أجمَعُه مِن العُسُبِ واللِّخافِ وصُدورِ الرِّجالِ حتى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوبَة مع أبي خزيمة الأنصارِيّ

لم أَجِدْها مع أَحَدٍ غيره ". ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: 128)، حتى خاتمة بَراءة، فكانَت الصُّحف عند أبي بكرٍ ﷺ حتى تَوفّاه الله تعالى، ثم عند عُمَر ﷺ حَياتَه، ثم عند حَفْصَة بنت عمر رضي الله عنهما.

المَرحلة الثّالِثَة: جمعُه في عَهْدِ عُثمان بن عَفّان ﷺ:

سببه: لَمّا وَصَل جَيْشُ المسلِمِين إلى (أرمِينية) و (أذرَبِيجان) كان الجنودُ في هذا الجيشِ مِن أهلِ العِراق ومِن أهل الشّام، وقد تلقَّى أهلُ كلِ بَلَدٍ القُرآنَ على وَجْهٍ غير الوَجْه الذي تَلَقّاه الآخَر، فكانوا إذا ضَمَّهُم مجلِسٌ أو مَوْطِنٌ يقرأون فيه القُرآنَ يُنْكِر بَعْضُهم على الآخَرِ تِلاوَتَه، واسْتَفْحَل الدّاء حتى كَفَّرَ بعضهم بعضاً، وكادَت تكون فِتْنَة، وكان حُذَيْفَة بن اليَمان ﷺ في هذا الجيشِ فأفزَعَه اختِلافُهم، وذَهَب إلى عثمان ﷺ يخبِره بذلك، وكان عُثمانُ قد بَلَغَه أنَّ هذا الاختِلاف يَقَع بين الغِلْمانِ في المدِينَة، فخَطَب فقال:" أنتم عِندِي تختَلِفون، فمَن نَأى عَني مِن الأمصارِ أَشَدّ اختِلافاً ".

فاستَشار عُثمانُ الصَّحابَة رضي الله عنهم أجمعِين فاتَّفقوا على أن ينسَخوا الصُّحُفَ التي جمعَها أبو بكر ﷺ ويجمَعوا النّاسَ عليها، وأن يُؤْمَرَ النّاسُ بإحراقِ ما عَداها، وألّا يَعْتَمِدوا غَيْرَها.

التَّنفِيذ:

أرسلَ عُثمان ﷺ إلى أمّ المؤمنين حفصَة رضي الله عنها فأرسَلت إليهِ الصُّحُفَ، وكان ذلك أواخِر سنَة (24 هـ)، وأوائل سنة (25 هـ)، واختارَ عُثمانُ لهذا العَمَل أَرْبَعَةً، وهم:

1- زيد بن ثابِت ﷺ.
2- عبد الله بن الزُّبَير ﷺ.
3- سعيد بن العاص ﷺ.
4- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ، وهؤلاء الثَّلاثة مِن قريش.

فأمَرَهُم أن يَنْسَخوها في المصاحِف، وقال عثمان ﷺ لِلقَرَشِيِّين:" إذا اختَلَفْتُم أنتم وزَيد بن ثابِت في شيءٍ مِن القِرآنِ فاكتُبوه بِلِسانِ قُرَيْشٍ، فإنما نَزَلَ بِلِسانهم "، ففَعلوا حتى إذا نَسَخُوا الصُّحُفَ في المصاحفِ رَدَّ عثمانَ ﷺ الصُّحُفَ إلى حَفصَة رضي الله عنها، وأرسلَ إلى كُلِّ أُفُقٍ بمصحَفٍ مما

نَسخوا، وأمَرَ بإحراقِ المصاحِف الأخرى، فاستَجابَ له الصَّحابَةُ رضي الله عنهم، فحَرَّقوا مَصاحِفَهُم.

وبهذا قَطَع عثمانُ ﷺ دابِرَ الفِتْنَةِ، وجمَع كَلِمَة الأُمَّةِ ووَحَّد الصُّفوفَ.

مَزايا جَمْع القُرآن في عَهْد عُثمان ﷺ:

1- الاقتِصارُ على ما ثَبَت بالتَّواتر.
2- إهمالُ ما نُسِخَت تِلاوَتُه في العَرْضَةِ الأخِيرَة.
3- تَرتِيبُ السُّوَرِ والآياتِ على الوَجْه المعروفِ الآن.
4- الاقتِصارُ على حَرْفٍ واحِدٍ مِن الأَحْرُف السَّبْعَةِ.

ثالثاً: جَمْع القُرآنِ بِمَعنى تَسْجِيلِهِ:

جَمْعُه بمعنى تَسْجِيلِه: ويسمَّى هذا الجمعُ بالمصحَف المرَتَّل أو الجمْع الصَّوتيّ. أمّا المصحَف: فبِضَم الميمِ وكَسْرِها، والأصل والأشهر الضَمّ، وهو مَأخوذٌ مِن أَصْحَفَ أي: جَمْعَت فيه الصُّحُف.

واصطِلاحاً: هو مجمَوعَةُ صَحائِف القُرآن مَرَتَّبَة الآياتِ والسُّوَر على الوَجْه الذي تَلَقَّتْه الأُمَّة الإسلامِيَّة مِن النَّبيِّ ﷺ.

والفَرق بين المصحَفِ والقُرآنِ أنَّ المصحَف اسمٌ لمجموعَةِ الصَّحائِف المدوَّن فيها القُرآن، أمّا القُرآن فهو الألفاظُ ذاتها.

المُرتَّل لغةً: مَأخُوذ مِن رَتَل الثَّغْرُ: إذا استَوى نَباتُه، وحَسُن تَنضِيدُه، وكان مُفَلَّجاً.

واصطِلاحاً: القِراءة بِتَؤُدَة واطْمِئنان وإخراجِ كلّ حَرْفٍ مِن مخرَجِه مع إعطائِهِ حَقَّهُ ومُسْتَحَقَّه مع تَدَبُّر المعاني، وقيل: هو رِعايَة مخارِج الحروفِ، وحِفْظ الوُقوفِ.

التَّرتِيل أفضَل مَراتِب القِراءَةِ الأَرْبَع، وهي[1]:

1- التَّحقِيقُ: وهو أكثَر اطْمِئْناناً وأكثَر ما يُسْتَعْمَل في التَّعلِيم.
2- التَّرتِيل: القِراءَة بِتَؤُدَةٍ واطْمِئنانٍ.

---

[1]) انظر دراسات في علوم القرآن الكريم، أ.د/ فهد الرومي (ص 109-110)

3- التَّدوِير: هي مَرْتَبَةٌ بين التَّرتِيل والحدْرِ.

4- الحدْر: هو الإسراعُ بِالقِراءَة مع مُراعاة الأحكامِ.

الجَمْعُ الصَّوتِيُّ لِلقرآن الكريم:

المراد به: المصْحَف المرَتَّل، وهو التَّسجِيل المسمُوع لِلقُرآنِ الكريم.

أدواتُه: أجهِزَةُ التَّسجِيلِ الحدِيثَة وأشْرِطَتُه واسْطُواناتُه ونحوُها.

بَواعِث التَّفكِير في الجَمْع الصَّوْتِيِّ لِلقُرآنِ الكَرِيمِ كَثِيرَةٌ، منها:

1- اقتِضاء المحافَظَةِ على القُرآنِ الكَرِيم، وذلك عن طَرِيق:

(أ) تحقِيق التَّلَقِّي الشَّفَهِيِّ الذي لا محِيصَ عنه لِطالِب القُرآنِ والذي بِغَيْرِه لا يُؤْمَن التَّصحِيف.

(ب) المحافَظَة على القِراءاتِ التي نَزَل بها القرآنُ وأجمَع عليها المسلِمون وثَبَت تَواتُرها.

(ج) المنعُ مِن القِراءَة بِالشَّواذِ التي تَعَلَّق بها أفرادٌ مِن القُرّاءِ.

2- الحاجَّة الماسَّة إلى تَيْسِيرِ تحفِيظِ القُرآنِ الكَرِيم وتَعْلِيمه:

(أ) لأنَّ المصاحِفَ المرتَّلَةَ نماذِج صَوْتِيَّةٌ ممتازَةٌ لِلتَّرتِيلِ الصَّحِيحِ.

(ب) لأنها تُيَسِّرُ القُرآنَ لِلحِفْظِ والتَّعلِيم خاصَّة في البُلدان التي تَفْتَقِد المعَلِّمَ الضّابِط.

(ت) لأنها طِبُّ اختِلافِ الرَّسْمِ العُثْمانيّ عن الرَّسْم الإملائِيِّ المعروفِ.

3- ضَرورَة الذَّوْدِ عن القُرآنِ الكَرِيم ضّدّ الطّاعِنِينَ عليه، وإزالَة كلِّ عَقَبَةٍ تُوضَعُ أمامَ وِحْدَةِ اتِّباعِه، أو أمامَ نَشْرِه وتَوزِيعِه بين المسلِمِين، وذلك بأنَّ يُبَثّ في الإذاعاتِ ونحوِها.

4- مُعاضَدَة المصحَفِ العُثْمانيِّ الذي أجمَع المسلِمون عليه.

5- دَرْء أيّ تَحرِيفٍ عن القُرآنِ الكَرِيم.

6- نَشْر لُغَةِ القُرآنِ الكَرِيم وتَوطِيدِ الوِحْدَة بين المسلِمِين.

تارِيخ المُصْحَف المُرَتَّلِ:

عُقِد أوّلُ اجْتِماعٍ في الجمعِيَّة العامَّة لِلمُحافَظَة على القرآن الكريم بِرئاسَة الأستاذ لَبِيب السَّعيد لِدِراسَة الموضوع في مَساء 14/ رمضان/ 1378هـ في القاهرة، وتمت الموافَقة عليه، ووضعت له الشُّروط والمواصَفات.

بدْء الطِّباعَة:

لاقَى المشروعُ في بِدايَتِه عَقَباتٍ كَثِيرَةٍ مادِيَّةٍ وعِلْمِيَّة وغيرِها، وقد تجاوَز بحمدِ اللهِ كلّ هذا، وبَدَأ الطبع لأوَّل مرَّة سنة 1379 هـ في ذي القعدة، وانتَهت الطَّبعة الأولى في المحرم من عام 1381هـ، وذلك بقِراءة الشَّيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم.

كَيْفِيَّة التَّسجِيل:

لم يكُن التَّسجِيل شيئاً هَيِّناً، فمع امتِياز القارِئ وكَونه قد أصبَح آنئذ شيخ المقارِئ المصرِيَّة فقد كانت اللَّجنَة تَسْتَوقِفه كثيراً لِيُعِيدَ التَّسجيل على النَّحو النَّموذجيّ المطلوب.

القُرّاء هم:

1- محمود خليل الحصري، ويقرأ برواية حفص، عن عاصم.
2- مصطفى الملواني، ويقرأ برواية خلف، عن حمزة.
3- عبد الفتّاح القاضي، ويقرأ برواية ابن وردان، عن أبي جعفر.
4- فؤاد العروسي، ومحمد صدّيق المنشاوي، وكامل يوسف البهتيمي، برواية الدوري، عن أبي عمرو.

الأسئِلَة:

1- ما المعاني التي يُطلَق عليها جَمْعُ القُرآنِ.
2- تحدَّث عن فَضْل تِلاوَةِ القُرآن الكريم وحِفْظِه.
3- أُذكر المراحِل التي مَرَّ بها جمع القرآنِ الكريم بمعنى كِتابَتِه وتَدوِينِه.
4- كيف كانت كِتابَة القُرآن في عَهْدِ الرَّسول ﷺ ؟
5- مَن هُم كُتّاب الوَحْي.

6- كيف كانوا يَكتُبون الوَحْيَ.
7- ما سَبَب عَدَمِ جمعِ القُرآن في مُصْحَفٍ واحِد في عهد الرَّسول ﷺ.
8- ما سَبَب جَمْعِ القُرآن في عَهْدِ أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ ؟ ومتى كان ذلك ؟
9- كم عَدَد القرّاء الذين اسْتُشْهِدوا في مَوْقِعَة اليَمامَة.
10- من الذي اقترَح على أبي بكر ﷺ جمعَ القرآنِ في مُصحَفٍ واحِد ؟، ولماذا.
11- مَن الذي اختاره أبو بَكرٍ ﷺ لجمعِ القرآن.
12- أُتل الآيَة التي لم يجِدها زيد ﷺ إلّا مع أبي خزيمة ﷺ، وفي أيّ سُورَةٍ.
13- عند مَن حُفِظَت الصُّحُف بعد جمعِها.
14- ما سَبب جمعِ القُرآن في عهد عُثمان بن عفان ﷺ ؟، ومتى كان ذلك ؟.
15- مَن هم الذين اختارهُم عثمان ﷺ لِنَسْخ المصاحِف ؟، وماذا قال لهم ؟.
16- أُذكر مَزايا جَمْعِ القُرآنِ في عَهْدِ عُثمانَ بن عفان ﷺ.
17- بمَ يُسَمَّى جمع القُرآن بمعنى تَسْجِيلِهِ.
18- عرِّف المصحَفَ لُغَةً واصْطِلاحاً.
19- ما الفرق بين القُرآن والمصحَفِ.
20- عرِّف المرتَّل لُغَةً واصْطِلاحاً.
21- أُذكر مَراتِبَ القِراءَة وأفضَلَها.
22- ما المراد بالمصحَف المرَتَّل ؟، وما أدَواتُه ؟
23- أُذكر بَواعِث التَّفكِير في الجمع الصَّوتيِّ لِلقُرآن الكريم.
24- متى بدأ التَّسجِيل الصَّوتيُّ لِلقُرآن الكريم لأوَّلِ مرَّة ؟، ومتى انتَهَت الطَّبعَة الأولى ؟
25- مَن هو القارِئ لأوَّلِ تَسْجِيلٍ صَوتيٍّ ؟ وبِأيِّ رِوايَة ؟
26- تحدَّث عن كيفِيَّة التَّسجيل الصَّوتيِّ لِلقُرآن.
27- مَن هُم القُرّاء الذين بَدَءوا تَسجِيلَ قِراءَتهم ؟، وبِأَيِّ رِوايَة قَرَأ كلٌّ مِنهم ؟

المبحث الثّاني: تَرْتِيب الآياتِ والسُّوَر

الآياتُ والسُّوَر

الآيَة لُغَةً: تُطلَق على مَعانٍ عَدِيدَةٍ، منها:

1- **المُعْجِزَةُ:** ﴿ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖ﴾ (البقرة: ٢١١).

2- **العِبْـرَة:** ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٨).

3- **العَلامَــة:** ومنــه قولــه تعــالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾(البقرة: ٢٤٨).

4- **البُرهان والدَّلِيل:**ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (الروم: ٢٢)

وأمّا معنى الآيَة في الاصطِلاح: فهو جُمْلَةٌ مِن كَلِماتِ القُرآنِ مُنْدَرِجَة في سُورَةٍ مِن سُوَرِ القُرآن.

طَرِيقَة مَعْرِفَة الآيَة:

لِلعُلَماء في مَعْرِفَة الآيَة مِن حيث بِدايتها ونهايتها قَولانِ:

الأوَّل: مَعرِفَة بِدايَة الآيَة ونهايتِها سماعِيٌّ لا مجالَ لِلاجتْهاد والقِياس فيه، ولهم أَدِلَّةٌ، مِنها:

1- أنَّ العُلماءَ اتَّفقوا على أنَّ (المص) آيَة ولم يعدوا (المر) آيَة، وعَدّوا (يس) ولم يَعدّوا (طس) آيَة ولو كان بِالقِياسِ والرَّأي لم يُفَرِّقوا بينَهُما.

2- هناك أحادِيث عن الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم حدَّد فيها بعضَ الآياتِ، كقولِه ﷺ عن الفاتحة:" هي السَّبْع المثاني "، وقوله ﷺ:" مَن قَرأ بِالآيَتَيْن مِن آخِر سُورَة البَقَرة في لَيْلَةٍ كفَتاه "، وغير ذلك، فلولا أنَّه ﷺ حَدَّد بِدايَة الآيات ونهايتها ما عَرَفْنا أنَّ الفاتحَة سَبْع آياتٍ مثَلاً، ولا عَرَفنا آخِر آيَتَيْن في البَقَرة، ونحو ذلك.

الثاني: قيل إنَّ مَعْرِفَة بِداية الآيات ونهاياتها منه ما هو سماعِيٌّ ومنه ما هو قِياسِيٌّ.

إطلاقُ الآيَةِ:

تطلق الآية ويُراد بها مَجازاً:

1- بَعض الآيَة، كقول ابن عباس ﷺ: (أرجى آية في القرآن): ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ (الرعد: ٦).

فإنَّه بعض آيَة باتِّفاق.

2- وتطلَق الآيَة على ما هو أكثَر مِن الآيَة، كَقَولِ ابنِ مَسعود ﷺ:" أَحْكَم آيَةٍ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ (الزلزلة: 7 -8).

فإنهما آيتانِ باتِّفاق.

عَدَد آياتِ القُرآنِ:

اختَلَف العُلَماء في عَدَدِ آياتِ القُرآنِ، فقِيلَ: (6217)، وقيل: (6220)، وقيل: (6226)، وقيل: (6336)، وقيل غير ذلك.

وسَبَبُ الاختِلاف: الاختِلاف في بِدايَةِ الآيَةِ ونهايَتِها؛ فمَنِهُم مِن يَعُدّ بعضَ الكَلِمات آيَة، ومِنْهم مَن يَعُدّها بعضَ آيَةٍ.

أَطْوَل آيَةٍ وأَقْصَر آيَةٍ:

أمّا أَطْوَل آيَةٍ فهي آيَة " الدَّيْن " في سورة " البقرة "، وأقصَر آيَة هي" يس " في صَدْر السُّورَةِ.

مِن فَوائِد مَعرِفَة الآياتِ:

1- العِلْمُ أنَّ كُلّ ثَلاثِ آيّاتٍ قِصار مُعْجِزَة؛ لأنَّ اللهَ تحدَّى بِالإتْيانِ بِسُورَةٍ مِن مِثْلِه، وأَقْصَر سُورةٍ ثَلاث آياتٍ، فدَلَّ على أنَّ كلَّ ثَلاث آياتٍ قِصارٍ يَثْبُت بها الإعجازُ، وفي قُوَّتها الآيَة الواحِدَة الطَّوِيلَة.

2- حُسْنُ الوَقْفِ على رُؤوسِ الآيَة عند مَن يَرَى أنَّ الوَقْفَ عند ذلك سُنَّة.

3- اعتِبار الآياتِ في أحكامِ العِباداتِ كالصَّلاةِ وخُطْبَة الجمَعَةِ.

تَرتِيب الآياتِ:

أجمعَت الأُمَّة على أنَّ تَرتِيبَ الآياتِ تَوقِيفِيّ عن رَسولِ اللهِ ﷺ، عن جِبريل عليه السَّلام، عن رَبِّه سبحانَه وتعالى، فليس لأحَدٍ مِن الصَّحابَة ولا الخلفاء الرّاشِدِين ولا لِغَيْرِهِم تَصَرّف في تَرْتِيب شَيْءٍ مِن الآياتِ.

معنى السُّورَةِ لُغَة: المنزِلَة، والشَّرَف، والعَلامَة، وغير ذلك.

وفي الاصْطِلاح: طائِفَة مُسْتَقِلَّة مِن آياتِ القُرآنِ الكَريم ذات مَطْلَعٍ ومَقْطَعٍ.

طَرِيقُ مَعْرِفَة السُّورَةِ: مَعْرِفَة بِدايَة السُّورَةِ ونهايَتها سماعِيّ لا مجالَ لِلاجْتِهادِ فيه.

مَصدَر أسماءِ السُّوَرِ: اختُلِف في أسماءِ السُّوَرِ:

1- فَقِيل: إنَّها تَوقِيفِيَّة.
2- وقِيل: إنَّها اجتْهادِيَّة.

والرّاجِح أنها تَوْقِيفِيَّة، قال السُّيوطِي:" وقد ثَبَت جَمِيع أسماءِ السُّوَرِ بِالتَّوقِيفِ مِن الأحادِيثِ والآثارِ".

أقْسامُ السُّوَر: تَنْقَسِم سُور القرآنِ مِن حيث تَعَدّد الاسمِ وعَدَمه إلى ثَلاثَةِ أقسامٍ:

الأوَّل: ماله اسمٌ واحِد، كالنِّساء، والأعراف، والأنعام، وغيرِ ذلك.

الثّاني: ماله أكثَر مِن اسمٍ، كالفاتحة، فإنها تسمَّى أمّ الكِتاب، والسَّبع المثاني، وأمّ القرآن، والشّافية، والكافِية، وغير ذلك، وكالتَّوبة، فإنها تسمَّى بَراءَة، والفاضِحة، والبحوث، والمبَعْثِرة، والمقشْقِشَة، وغير ذلك.

الثّالث: أن تُسمَّى عِدَّة سُوَرٍ باسمٍ واحِد، نحو: الزَّهراوَيْن لِلبَقَرة وآلِ عِمران، والمعَوِّذَتَيْن لِلفَلَقِ والنّاسِ، و(الحوامِّيم) لِلسُّوَرِ المبدُوءَةِ بـ" حم " .

عَدَد السُّوَرِ: عَدَد سُوَرِ القُرآنِ الكَريم (114) سورَة، وقيل: إنها (113) سورَة؛ باعتِبار الأنفالِ وبَراءَة سُورَة واحِدَة.

أقسامُ السُّوَرِ: تَنقَسِم سُوَر القُرآنِ مِن حيث الطُّول وعَدَمه إلى أربَعَةِ أقسامٍ:

الأوَّل: الطِّوال: وهي سَبْع: البَقَرة، آل عمران، النِّساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، واختُلِف في السّابِعَة فقيل: الأنفال والتَّوبة معاً، وقيل: يونس.

الثّاني: المئون: وهي السُّوَر التي تَزِيد آياتها على مائِة آيَةٍ أو تُقارِبها.

الثّالث: المثاني: وهي التي تَلِي المئِين في عَدَدِ الآيات.

الرّابع: المفَصَّل: وهو أواخِر القُرآنِ، واختُلِف في بِدايَتِه، فَقِيل: مِن سورة (ق)، وقيل: مِن

(الحجرات)، ويَنْقَسِم المفَصَّل إلى ثَلاثَةِ أقسامٍ:

1- طِوالُ المفَصَّل: مِن (ق) أو (الحجرات) إلى (النَّبأ) أو (البُروج).
2- أوساط المفَصَّل: مِن (النَّبأ) أو (البروج) إلى (الضُّحى) أو (البَيِّنَة).
3- قِصارُ المفَصَّل: مِن (الضُّحى) أو (البَيِّنَة) إلى آخِر القرآن.

تَرتِيب السُّوَر:

اختَلَف العُلَماء في تَرْتِيب السُّوَرِ إلى ثَلاثَةِ أقوالٍ:

الأوّل: أنَّ تَرتِيبَ السُّوَرِ تَوقِيفِيٌّ، فلم تُوضَع سُورَةٌ في مَوْضِعها مِن المصحَفِ إلّا بِناءً على أَمْرٍ مِن النَّبيِّ ﷺ أو رَمْزِه أو إشارَتِه على حَسَب ما فَهِمُوه مِن تِلاوَتِه ﷺ.

الثّاني: أنَّ تَرتِيبَ السُّوَرِ اجتِهادِيٌّ مِن الصَّحابَةِ.

الثالث: أنَّ تَرتِيبَ أكثَر سُوَرِ القُرآن كان تَوْقِيفِيّاً، والقَلِيل كان تَرتِيبُه بِاجتِهاد الصَّحابَةِ.

وليس هناك أَثَرٌ يُذْكَر في الاختِلاف في تَرْتِيب السُّوَرِ ما دام الصَّحابَة رضي الله عنهم أجمعوا على التَّرتيب الموجود في المصاحِف الآن، وتَرتِيبُ السُّور في التِّلاوَةِ مَندوبٌ وليس بِواجِبٍ إلّا عند الصِّبْيانِ، فالأفضل البدء مِن آخِر المصحَفِ إلى أَوَّلِه؛ تَسْهِيلاً لحفْظِه.

حكمة تَسْوِير القُرآنِ: لِتَقْسِيم القُرآنِ إلى سُوَرٍ فَوائِد كَثِيرة، منها:

1- الدّلالَة على مَوضُوع الحديثِ ومحوَر الكَلام، وذلك أنَّ لِكُلِّ سُورَةٍ مَوضوعاً تَتَحدَّث عنه.
2- أنَّ القارِئَ وكذا الحافِظ إذا أتمَّ سُورَةً كان أنشَط له وأَبْعَث لِتِلاوَة أو حِفْظِ السُّورَةِ التي تَلِيها وهكذا حتى يأخُذَ حَظَّه مِن القُرآنِ.

تَجْزِئَة المُصْحَفِ:

لم تَكُن المصاحِف العُثْمانِيَّة مُقَسَّمَةً إلى أجزاء، وإنما تَمَّ التَّقسِيم بعد ذلك، فقسَّموا القُرآنَ الكريم إلى ثلاثين جزءاً، سموا كلَّ جُزْءٍ بِأوَّل كَلِمَةٍ فيه، وقسَّموا الجزء إلى حِزْبَيْن، فالقرآن سِتُّون حِزْباً، وقسَّموا الحزْبَ إلى أربَعَةِ أقسامٍ، سمّوا كُلّ قِسْمٍ رُبُعاً.

ومنهم مَن وضَع على رَأْسِ كلِّ خَمْسِ آياتٍ كَلِمَة (خمس)، وعلى رَأْسِ كُلّ عَشْر آياتٍ كَلِمَة (عشر)، ويُعاقب بينها فمَرَّة يَضَع (خمس)، ومَرَّة يَضَع (عشر)، إلى آخِر السُّورَة، ثم اختَصروا كَلِمَة (خمس) إلى (خ)، ويضَعون بَدلاً مِن (عشر) (ع).

الأسئِلَة:

1- عَرِّف الآيَة لُغَةً، واصطِلاحاً.
2- ما طَرِيق مَعرِفَة الآيَة ؟، أُذكر أقوالَ العُلماءِ في ذلك.
3- أُذكر مِثالاً لإطلاقِ لَفْظِ الآيَة على بعضِ الآية، ولإطلاقِ على ما هو أكثَر مِن الآية.
4- كَمْ عَدَد آياتِ القرآن ؟، أُذكر أقوالَ العُلماء في ذلك. وما سبَب اختِلافهم ؟
5- ما أطوَل آيَةٍ في القرآن ؟، وأَقْصَر آيَة ؟
6- لِمَعرِفَة آياتِ القُرآن فَوائِد، أُذكر ما تَعْرِف منها.
7- ما طَرِيق مَعرِفَة تَرتِيب الآيات ؟
8- ما معنى السُّورة لُغةً واصطِلاحاً ؟، وما مصدَر أسماءِ السُّوَر ؟
9- إلى كَم قِسْم تَنْقَسِم سُوَر القُرآن مِن حيث تَعَدّد الاسمِ وعَدَمه ؟، مع التَّوضِيح.
10- كم عدَد سُور القرآن ؟، وهل هناك خِلافٌ في ذلك ؟، ولماذا ؟
11- كم أقسامُ سُوَرِ القُرآن مِن حيث الطُّول وعَدَمه ؟
12- لِلعُلَماء في تَرتِيب السُّور أقوالٌ اذكُرها. وما أثَر الاختِلاف في ذلك ؟
13- متى يُسَنُّ تِلاوَةِ سُوَرِ القُرآنِ مُرَتَّبَة ؟ ومتى يُسَنّ عَكْسُ تَرتِيبِها ؟
14- ما الحكمة مِن تَسْوِيرِ القُرآن ؟
15- كم عدَد أجزاءِ القرآن ؟، وكم عدَد أحزابِه ؟، وكم عدَد أرباعه ؟
16- ماذا يعني وَضْع رأسِ الخاء على رأسِ الآية ؟، وماذا يعني وَضْع رَأْسِ العَيْن ؟

الباب الرّابع: الوَحْي

الوَحْيُ

الوَحْيُ في الأَصْلِ الخفاءِ والسُّرْعَة.

ومَعناه:

الإعلامُ الخفِيُّ السَّريع الخاصّ بِمَن يُوَجَّه إليه بحيث يخفَى على غَيْرِهِ.

وطُرُقُه:

(أ) الكَلامُ على سَبِيل الرَّمْزِ والتَّعرِيض.

(ب) الصَّوتُ المجرَّد عن التَّركيب.

(ج) الإشارَةُ بِبَعضِ الجوارِح.

(د) الكِتابَةُ.

أَنْواعُه بِالمَعْنى اللُّغَوِيِّ:

1- **إلهام الخَواطِر**: بما يُلقِيه اللهُ في رَوْعِ الإنسانِ السَّلِيمِ الفِطْرَةِ الطّاهِر والرُّوحِ كالوَحْي إلى أمِّ موسى.

قال تعالى:﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ (القصص: ٧).

2- **الإلهامُ الغَريزِيّ**: كالوَحْي إلى النَّحل، قال تعالى:﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾ (النَّحل: ٦٨).

3- **الإشارَة السَّريعَة على سَبِيلِ الرَّمْزِ والإيحاءِ**: كإيحاءِ زكريا عليه السَّلام إلى قَوْمِه قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ (مريم: ١١).

4- **وَسْوَسَة الشَّياطِين**: قال تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢١).

5- **وما يُلقِيه اللهُ إلى مَلائِكَتِه مِن أَمْرٍ لِيَفْعَلوه**: قال تعالى:﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (الأنفال: ١٢).

الوَحْيُ شَرْعاً: هو إعلامُ اللهِ لأحَدِ أنبيائِه بحكْمٍ شَرْعِيٍّ ونحوِهِ.

أنواعُه بِالمعنى الشَّرعيِّ:

(أ) ما يكون مُكالَمَةً بين العَبْدِ ورَبِّه قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ (النساء: ١٦٤).

(ب) ما يكون إلهاماً يَقْذِفُه اللهُ في قَلْبِ نَبِيِّه على وَجْهٍ مِن العِلْمِ الضَّروريّ بحيث لا يستَطِيع له دَفْعاً، ولا يجِد فيه شَكّاً، ومنه قول الرسول ﷺ:" إنَّ رُوحَ القُدسِ نَفَثَ في رَوْعِي أنَّه لن تموتَ نَفْسٌ حتى تَسْتَكْمِل رِزْقَها وأجَلَها فاتَّقوا اللهَ وأجملوا في الطَّلَب ".

(ج) ما يكون مَناماً، ومنه قول إبراهيم عليه السَّلام:﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (الصافات: ١٠٢).

ومنه حَدِيث أمّ المؤمِنِين عائِشة رضي الله عنها قالت:" أوَّل ما بُدِئ بِه رسولُ الله ﷺ مِن الوَحْي الرُّؤْيا الصّالحة في النَّوم، فكان لا يَرى رُؤْيا إلّا جاءَت مثلَ فَلَقِ الصُّبْح ".

(د) ما يكون بِواسِطَة جبريلَ عليه السَّلام: وهذا النَّوع هو أشهَرها وأكثَرُها، ووَحْيُ القُرآنِ كلُّه مِن هذا القَبِيل، وهو المصطَلَحُ عليه بِ" الوَحْي الجلِيّ ".

كَيْفِيَّة وَحْي جِبرِيلَ عليه السَّلام إلى الرَّسولِ ﷺ:

لِنُزولِ الوَحْي على الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم حالَتان:

الحالَة الأُولى: أن يَتَمَثَّل جِبريلُ على صُورَةِ إنسانٍ يَراه الحاضِرون ويَسْمَعون كَلامَه.

الحالة الثّانية: أن يأتي جِبريلُ الرَّسولَ صلَّى الله عليه وسلَّم مثل صَلْصَلَةِ الجرَسِ، ولا يَراه أَحَدٌ، ويَغُطّ الرَّسولُ ﷺ مِثْل غَطِيطِ النّائِم، وما هو بِنائِمٍ، وهذه الحالَة أشَدُّ على النَّبيِّ ﷺ مِن الحالة الأولى.

والدَّليل على هاتَين الحالتين :

حديث عائِشة رضي الله عنها أنَّ الحارِثَ بن هِشام ﷺ سألَ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، كيف يأتِيك الوَحْيُ ؟ فقال رسول الله ﷺ:" أحياناً يأتِيني مِثْل صَلْصَلَة الجرَسِ، وهو أشدّهُ عَليَّ، فَيُفْصَم عنِّي وقد وَعِيت عنه ما قال، وأحياناً يَتَمَثَّل لي المَلَك رَجُلاً فَيُكَلِّمُني فأَعِي ما يقول "، قالت عائِشَة رضي الله عنها: ولقد رَأَيْتُه يَنْزِل عليهِ الوَحْيُ في اليومِ الشَّدِيدِ البَرْدِ فَيُفْصَمُ عنه، وإنَّ جَبِينَه لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً ". رواه البخاري.

الأسئِلَة:

1- عرِّف الوَحْيَ، واذكُر طُرُقَه.

2- أُذكر أنواعَ الوَحْي بالمعنى اللُّغويِّ، مع تعريف كلِّ نَوْعٍ.

3- اشرَح حالاتِ مجِيءِ جِبريلَ عليه السَّلام لِلرَّسولِ ﷺ، وأيُّهما أشَدّ عليه – عليه الصَّلاة والسَّلام، مع ذِكْر الدَّليل على ذلك.

الباب الخامِس: المَكِّيُّ والمَدَنِيُّ

المَكِيُّ والمَدَنِيُّ

اعتَنى عُلماءُ المسلمين عِنايَةً كَبِيرَةً بِدِراسَة القُرآن الكريم، وما يَتَعَلَّق بِزَمَنِ نُزولِهِ، وأماكِن النُّزولِ، ونحو ذلك، فما مِن آيَةٍ إلّا وعَرَفَ الصَّحابة رضي الله عنهم أين نَزَلَت، ومتى نَزَلَت، وفِيمَ نَزَلَت، ولا شَكَّ أنَّ هذا يحتاجُ إلى جُهْدٍ كَبِيرٍ بَذَلَه العُلماءُ حتى عرفوا: ما نَزَل بِمَكَّةَ، وما نَزَلَ بِالمدِينَة، وما حُمِل مِن مكَّة إلى المدِينَة، وما حُمِلَ مِن المدِينَة إلى مَكَّة، وما نَزَل ليلاً، وما نَزَل نهاراً، وما نَزَلَ صَيْفاً، وما نَزَلَ شِتاءً، وما نَزَلَ في الحضَر وما نَزَلَ في السَّفَر، وغير ذلك مِن الأنواعِ التي دَرَّسَها العُلماءُ في مَبْحَثِ المكَيِّ والمدَنِيِّ.

طَرِيقُ العِلْمِ بِالمَكِيِّ والمَدَنِيِّ:

لِلعُلماء في العِلْمِ بالمكِيّ والمدَني طَرِيقان:

الأوَّل: السَّماعِي النَّقلِيّ: ويستَنِد إلى الرِّوايَةِ الصَّحِيحَة عن الصَّحابَة أو التّابِعِين في تحدِيدِ السُّورَة أو الآيَةِ المكِيَّة أو المدَنِيَّة.

الثّاني: القِياسِيّ الاجتِهادِيّ: ويستَنِد إلى قِياسِ ما لم يَرِد بِدَلِيلٍ على أنَّه مَكِيٌّ أو مَدَنِيٌّ على ما وَرَدَ فيه دَلِيلٌ؛ فإن أشْبَه الآياتِ المكِيَّة فهو مَكِيٌّ، وإن أَشْبَه الآياتِ المدَنِيَّة فهو مَدَنِيٌّ.

ولِلعُلَماء في تَعْرِيف المكِيِّ والمدَنِيِّ ثَلاثَة اصْطِلاحاتٍ:

تَعْرِيفُ المَكِيِّ والمَدَنِيِّ:

الأوَّل: أنَّ المكِيَّ ما نَزَل بمكَّة، والمدَنِيَّ ما نَزَلَ بالمدِينَة.

ويَرِد على هذا القول بِأنّ هناك آياتٍ نَزَلَت في غيرِ مَكَّةَ والمدِينَة، فهذا التَّعرِيف لا يشمَلها، فهو غير حاصِر.

الثّاني: ما كان فيه:" يا أيُّها الذين آمَنوا " فهو مَدَنِيٌّ؛ لأنَّ الإيمانَ كان غالِباً على أهل المدِينَة، وما كان فيه:" يا أَيُّها النّاس " فهو مَكِيٌّ؛ لأنَّ الكُفْرَ كان غالِباً على أهلِ مَكَّةَ.

وهذا التَّعريف غيرُ حاصِرٍ أيضاً؛ لأنَّ أكثَرَ آياتِ القُرآنِ؛ بل كَثِيرٌ مِن السُّوَرِ ليس فيها:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، ولا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾.

الثّالِث: ما نَزَلَ قَبْلَ الهجْرَةِ فَهُو مَكِّيٌّ، وما نَزَلَ بعد الهجْرَة فهو مَدَنِيٌّ، وإن نَزَلَ في مَكَّةَ.

وهذا التَّعرِيف جَعَل الزَّمَن حَدّاً فاصِلاً بين المكِّيِّ والمدنِيِّ، فهو ضابِطٌ وحاصِر ولا يخرج عنه شَيْءٌ مِن الآياتِ كلِّها، فهي إمّا أن تكون نَزَلَت قبلَ الهجرَةِ، أو بعدها، وهذا هو التَّعريف الصَّحِيح.

ضَوابِط السُّوَرِ المَكِّيَّةِ والمَدَنِيَّة:

نَظَر العُلماء في السُّور المكِّيَّةِ والسُّور المدنِيَّة فوَجدوا أنَّ لِمَوضوعاتِ السُّوَرِ المكِّيَّةِ مميِّزاتٍ وأنَّ لِمَوضوعات السُّوَرِ المدَنِيَّة مميِّزات، ثم نَظَروا مَرَّةً أخرى فَوجَدوا أنَّ لِكَلِمات السُّوَرِ المكِّيَّةِ ضَوابِطَ ولِكَلِمات السُّوَر المدَنِيَّة أيضاً ضَوابِطَ، وبَيانُ ذلك:

ضَوابِطُ السُّوَرِ المَكِّيَّةِ:

1- كلُّ سُورَةٍ فيها لَفْظ (كَلّا) فَهِي مَكِّيَّة.
2- كلُّ سُورة تُفْتَتَح بحروفِ التَّهَجِّي نحو (الٓمٓ)، (حمٓ)، (الٓمٓصٓ) وغيرِ ذلك فهِي مَكِّيَّة إلّا البقرة وآل عمران وفي الرَّعد خِلاف.
3- كلُّ سُورَةٍ فيها سَجْدَة تِلاوَةٍ فهي مَكِّيَّةٍ.
4- كلُّ سُورةٍ فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، وليس فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فهِيَّ مَكِّيَّةٌ إلّا سورة الحجّ فهي مَكِّيَّة، مع أنَّ في آخِرِها أيضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ (الحج: 77).
5- السُّور ذات الآياتِ القَصِيرَة مع قُوَّةٍ في الكَلِمات ممّا يُناسِب الجدالَ مع المشرِكين وإثبات الأدِلَّة والبَراهِين سُوَرٌ مَكِّيَّة.

ضَوابِط السُّوَرِ المَدَنِيَّة:

1- كلُّ سورَةٍ فيها لَفْظ (النِّفاق) فهي مَدَنِيَّة سوى سُورة العَنْكَبوت.
2- كلُّ سورَةٍ فيها ذِكْر لِفَرِيضَةٍ أو حَدّ.
3- طُول الآيَة والإطناب في الحدِيث ممّا يُناسِب بَسْطَ أحكامِ الشَّرِيعَة وتَوضِيحها.

مُمَيِّزات السُّوَرِ المَكِّيَّةِ والمَدَنِيَّة:

مُمَيِّزات السُّوَرِ المَكِّيَّةِ:

1- العِنايَةُ بمسائِلِ العَقِيدَة والدَّعوة إلى التَّوحِيد والإيمانِ بالله وبِرسولِه واليَومِ الآخِر, ومجادَلَة المشركين في ذلك، وإيراد الأدِلَّة والبَراهِين، والتَّحذِير مِن الشِّرك وأعمال المشركين.

2- وَضْعُ الأُسُسِ العامَّة لِلتَّشرِيع، والأَمْرُ بِأصولِ العِبادات.

3- الاسْتِشهادُ كَثِيراً بِقَصَصِ الأنبِياء والسّابِقين لِتَقْرِير مَسائِل العَقِيدَةِ، وتحذِيرُ المشرِكين مِن مخالَفَة الرَّسول ﷺ، وبَيانُ ما جرى لِلمُخالِفِين مِن الأُمَم السّابِقَة.

مُمَيِّزات السُّوَرِ المَدَنِيَّة:

1- تَفصِيل أَحكامِ العِباداتِ والمعامَلاتِ والحدودِ ونحوِ ذلك.

2- جِدالُ أهلِ الكِتاب، وإثباتُ تحريفِ كُتُبِهِم، ودَعْوتهم إلى الإسلامِ.

3- كَشْفُ أحوالِ المنافِقِين وهَتْكُ أستارِهِم، وتحذِيرُ المسلِمِين مِنهُم ومِن أفعالهم.

السُّوَر المَدَنِيَّة:

المدَنِيُّ باتِّفاقٍ عِشرونَ سُورَة، وهي:

1- البقرة , 2- آل عمران , 3- النِّساء , 4- المائدة , 5- الأنفال , 6- التَّوبة , 7- النُّور , 8- الأحزاب , 9- محمّد , 10- الفتح , 11- الحجرات , 12- الحديد , 13- المجادلة , 14- الحشر , 15- الممتحنة 16 , - الجمعة , 17- المنافقون , 18- , الطّلاق 19- , التَّحريم 20- , النَّصر.

المُختَلَف فيه:

واختَلف العُلماءُ في اثنَتي عَشْرَة سُورَةً، وهي:

1- الفاتحة، 2- الرَّعد، 3- الرَّحمن، 4- الصَّفّ، 5- التَّغابُن، 6- التَّطفيف، 7- القَدر، 8- البَيِّنَة، 8- الزَّلزَلَة،10 - الإخلاصُ، 11 - الفَلَق، 12 - النّاس.

السُّور المَكِّيَّة:

ما عَدا ذلك مِن السُّور فهو مَكِيٌّ باتِّفاق، وهي اثْنَتان وثمانون سُورَة.

فَوائِدُ مَعْرِفَةِ المَكِيّ والمَدَنِيِّ:

مِن فَوائِد مَعرِفَةِ المكِيِّ والمدَنِيِّ:

1- تمييزُ النّاسِخ مِن المنسوخِ، فالمتَأخِّرُ ناسِخٌ لِلمُتَقَدِّم.

2- مَعْرِفَةُ تاريخِ التَّشريعِ وتَدَرُّجِه الحكِيم في تَرْبِيَة الأُمَّةِ والنُّهوضِ بها مِن دَرَكِ الجاهِلِيَّة إلى عِزَّة الإسلامِ ورِفْعَتِه.

3- تَيْسِيرُ تَفْسِير الآيَة، فإنَّ مَعرِفَة مَكانِ النُّزولِ يُعِين على فَهْمِ معنى الآيَةِ.

الأسئِلَة:

1- تحدَّث عن عِنايَةِ عُلماءِ المسلِمِين بالمكِيِّ والمدنيِّ، واذكُر بعضَ ما يُدَرِّسُه العلماءُ في هذا الباب.

2- ما هو طَرِيق العِلْمِ بِالمكّيِّ والمدنيِّ ؟

3- أُذكر اصطِلاحاتِ العُلماءِ في تَعرِيفِ المكِيِّ والمدَنيِّ.

4- ما الفَرق بين الضَّوابِطِ والمَمَيِّزاتِ ؟، وما هي ضَوابِط المدَنيِّ ومميِّزاتِه ؟، وما هي ضَوابِطُ المكِيِّ ومميِّزاتِه ؟

5- قارِن بين ضَوابِط المكّيِّ وضَوابِط المدَنيِّ، ثم قارِن بين مميِّزات كلٍّ منهما.

6- كم عدَد السُّور المدنِيَّة باتِّفاق، وما هي ؟، وكم عَدَد السُّور المكّيَّة، واذكر ما تعرف منها، ثم اذكُر السُّور المختَلَف فيها.

7- لِمَعرِفَة المكّيِّ والمدنيِّ فَوائِد كَثِيرَة. أُذكر ما تَعْرِف منها.

8- ينقَسِم القُرآن مِن حيث سَبَب النُّزولِ وعَدَمه إلى قِسْمَين، اذكُرهما.

الباب السّادس: أَسْبابُ النُّزولِ

أسبابُ النُّزولِ

القِسْم الأَوَّل: نَزَلَ مِن اللهِ ابْتِداءً غير مُرْتَبِطٍ بِسَبَبٍ خاصٍّ، وهو أَكْثَر القُرآنِ.

القِسْم الثّاني: آياتٌ نَزَلَت مُرتَبِطَةً بِأسبابٍ خاصَّةٍ.

وقد اعتَنى العُلَماء بِالنَّوع الثّاني فجَمَعوها وذَكَرُوا سَبَب نُزولِ كُلِّ آيَةٍ منها، ومن المؤلَّفات في ذلك:

1- أسباب النُّزول، لعليّ الواحدي النَّيسابوري.
2- لباب النُّقول في أسبابِ النُّزول لجلال الدِّين السُّيوطِي.

تَعْرِيف سَبَبِ النُّزولِ:

هو ما نَزَلَ القُرآنُ بِشَأْنِه وَقْتَ وُقوعِهِ.

وينقَسِم إلى قِسْمَيْن:

1- إمّا أن يكون حادِثَةً.
2- وإمّا أن يكونَ سُؤالاً.

ومِثال الحادِثَة: الخصومَة التي دَبَّت بين جماعَةٍ مِن الأَوْسِ وجماعَةٍ مِن الخزْرَجِ بعد أن سعى اليهودُ لِلدَّسِّ بينَهم حتى تَنادَوْا السِّلاحَ، فنَزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٠).

ومِثال السُّؤال: وهو أن يُوَجَّه سُؤالٌ إلى الرَّسول ﷺ فَيَنْزِل القُرآنُ جَواباً لِلسُّؤالِ، فيكون السُّؤالُ سبَبَ نُزولِ الآيَة، وأمثِلَتُه كَثِيرة، مثل:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ (الإسراء: ٨٥).

ومِثل:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ (الكهف: ٨٣).

ومِثل:﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: 215).

ومِثل:﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩).

وغيرُ ذلك ...

طَرِيقُ مَعْرِفَة سَبَبِ النُّزولِ:

لا طَرِيقَ لِمَعْرِفَة سَبَبِ النُّزولِ إلّا النَّقْلَ الصَّحِيحَ؛ لأنَّه لا مجالَ لِلاجْتِهادِ في مَعْرِفَة سَبَبِ النُّزولِ.

مِن فَوائِد مَعْرِفَة سَبَبِ النُّزولِ:

1- الاستِعانَةُ بِه على فَهْمِ الآيَة, قال ابن تيمية رحمة الله تعالى:" مَعْرِفَة سَبَبِ النُّزولِ يُعِين على فَهْمِ الآيَة ".
2- مَعْرِفَةُ حِكْمَة التَّشرِيعِ، وإدراك أسرارِه ورَحمَة اللهِ بِعِبادِهِ المؤمِنِينَ.
3- تَيْسِيرُ الحفْظِ وتَسْهِيلُ الفَهْم وتَثْبِيتُ معنى الآيَة في ذِهْنِ كلِّ مَن يَعْرِف سَبَب نزولها، ولهذا نَتَذَكَّر كثيراً سَبَب النُّزولِ إذا قَرَأْنا الآيَة، ونَسْتَحْضِر الآيَةَ إذا تَذَكَّرنا سَبَبَ نُزُولها.

الأسئِلَة:

1- إلى كَم قِسْمٍ يَنْقَسِم القُرآن الكَرِيم مِن حيث سَبَب النُّزولِ وعَدَمه ؟
2- أُذكر ما تَعْرِفِين مِن المؤَلَّفاتِ في أسبابِ النُّزولِ.
3- عَرِّف سَبَبَ النُّزولِ، واذْكُر أقسامَه مع التَّمثِيل.
4- ما طَرِيق مَعرِفَة سَبَبِ النُّزول ؟
5- أُذكر ما تَعْرِف مِن فَوائِد مَعْرِفَة أسبابِ النُّزولِ، مع التَّمثِيل.

الباب السّابع: الأَحْرُف السَّبْعَة

الأَحْرُفُ السَّبْعَة

المُراد بِالأَحْرُفِ:

الأَحْرُف لُغَةً جمع حَرْف، والحرفُ مِن كلِّ شَيْءٍ طَرَفُه، وشَفِيرُه وحَدُّه، ومِن الجَبَلِ أعلاه المحدَّد، وأَحَد حُروفِ التَّهَجِّي، وطَرَف الوادِي، قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ (الحج: 11) أي: وَجْه واحِد، وهو أن يَعْبُدَه على السَّراء لا على الضَّرّاء، ونُزولُ القُرآن على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ يعني سَبْعَة وُجُوهٍ.

أَدِلَّة نُزولِ القُرآنِ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ:

روى حَدِيث نُزولِ القُرآن على سَبْعَة أَحْرُفٍ جَمْعٌ كَبِيرٌ مِن الصَّحابَةِ منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدريّ، وأُبي بن كعب، وغيرهم، وقد قام عثمان ﷺ على المنبَر فقال: أُذَكِّر اللهَ رَجُلاً سمع النَّبيَّ ﷺ قال:" إنَّ القرآنَ أُنْزِلَ على سَبْعة أحرف كُلُّها شافٍ كافٍ لَما قامَ. فقاموا حتى لم يحصوا فَشَهِدوا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ذلك فقال عثمان بن عفّان ﷺ:" وأنا أَشْهَد معهم ". والأدِلَّة على ذلك كَثِيرَةٌ رواها واحِدٌ وعِشرون صَحابِيّاً، بل تَواتَرت السُّنَّةِ بذلك.

المُراد بِالأَحْرُفِ السَّبْعَة:

اختَلَف العُلماءُ رحمهم الله تعالى في المراد بِالأَحْرُف السَّبْعَة على نحو أربعِين قولاً، وأكثَر هذه الأقوالِ مُتَداخِلَة. ومنها:

1- ذهَب بعضُ العُلَماء إلى أنَّ المرادَ بالأحرُفِ السَّبْعَة سَبْع لُغاتٍ مِن لُغاتِ العَرَبِ في المعنى الواحِد، معنى أنَّه إذا اختَلَفَت لُغاتُ القَبائِل العَرَبِيَّة في معنى يَأتي القُرآن بِألفاظٍ مُتَعَدِّدَةٍ لهذه القَبائِل، وإذا اتفقت لُغات القَبائِل العَرَبِيَّة على لَفْظٍ واحِدٍ اقتَصَر عليه، ثمَّ اختَلَفوا في اللُّغاتِ التي نَزَلَ عليها القرآنُ فقالت طائفة هي (قُرَيش ، وهُذَيْل ، وثَقِيف ، وكِنانَة ، وتميم، واليَمن)، وقيل (قُرَيْش، وهُذَيل، وتميم ، والأَزْد ، ورَبِيعَة ، وهَوازِن ، وسَعْد بن بكر)، وقيل غير ذلك.
2- وذَهَب بعضُ العُلماء إلى أنَّ المرادَ بها سَبْع لُغاتٍ مِن لُغاتِ العَرَبِ نَزَلَ عليها القُرآن، بمعنى أنَّه في جملَتِه لا يخرُج عن سَبْع لُغاتٍ هي الأَفْصَح مِن لُغاتهم، وأكثَرُه بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، ومنه ما هو

بِلُغَة هُذَيْل، أو ثَقِيف وغيرهم، وعلى هذا الرَّأْي فالأَحْرُف السَّبْعَة مُتَفَرِّقَة في القُرآنِ لا تجتَمِع في كَلِمَةٍ واحِدَةٍ كما ترى الطّائِفَة الأُولى.

3- وقيل المراد بِالأحرُف السَّبْعَة سَبْعَة أصنافٍ، ثمَّ اختَلَفوا فيها، فقالت طائِفَةٌ: (الأَمْر والنَّهْي، والحلال والحرام، والمحكَم والمتَشابِه، والأمثال)، وقيل:(المطلَق والمقَيَّد، والعامّ والخاصّ، والنَّصّ والمُؤَوَّل، والنّاسِخُ والمنسوخُ، والمجمَل والمفَصَّل، والاستِثْناء وأقسامُه)، وقيل:(الوَعْدُ والوَعِيد، والحلالُ والحرام، والمواعِظ والأَمْثال، والاحتِجاج)، وقِيل غيرُ ذلك.

4- وقيلَ: إنَّ المرادَ بِالأحرُفِ السَّبْعَة القِراءات السَّبْع.

والأقوالُ كَثِيرةٌ، والرّاجِح هو القَول الأوَّل، وهو أنَّ المرادَ بِالأحرُفِ السَّبْعَة سَبْع لُغاتٍ مِن لُغاتِ العَرَبِ في المعنى الواحد نحو (أَقْبِل)، و (تَعال)، و (هَلُمّ)، و(عَجِّل)، و (أَسْرِع)، و (إليَّ)، فهِيَ ألفاظٌ مختَلِفَة لمعنى واحِدٍ، وذهب إلى ذلك سفيان بن عُيَينة والطَّبري وابن وَهْب، ونَسَبه ابن عبد البَرّ لأكثَرِ العُلماءِ.

حِكْمَة نُزُولِ القُرآنِ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ:

لِنُزولِ القُرآنِ الكريم على سَبْعَة أَحْرُفٍ حِكَمٌ عَدِيدَةٌ، منها:

1- **التَّيسِير على الأُمَّةِ:**

ويدلُّ لهذا قوله صلَّى الله عليه وسلَّم في الحديث:" أُرْسِل إليَّ أن أَقْرأَ القُرآنَ على حُروفٍ فرَدَدْت إليه: أن هَوِّن على أُمَّتي، فرَدَّ إليَّ الثّانِية أن أَقْرَأَه على حَرْفَيْن، فَرَدَدْت إليه: أن هَوِّن على أُمَّتي، فرَدَّ إليَّ الثّالِثَة: أقرِأْه على سَبْع أَحْرُفٍ ". الحديث.

2- **تَعَدّد الإعجازِ في القُرآن الكريم:**

فإنَّ القرآنَ إذا ورد على أَحْرُفٍ مُتَعَدِّدَةٍ كلُّ حَرْفٍ منها مُعْجِز اقتَضى ذلك تَعَدّد الإعجازِ وتكَرّره، وفي هذا زِيادَةٌ في الحجَّة وقُوَّة في البُرهانِ لِلرَّسولِ ﷺ.

هل الأَحْرُف السَّبْعَة لا تَزالُ في المَصاحِف الآن ؟

اختَلَف العُلماءُ في ذلك إلى قَوْلَيْن:

1- الطّائِفَة الأُولى قالوا: إنّ الأحرُفَ لا تَزال في القُرآنِ متَفَرِّقَةً بمعنى أنَّ الكَلِمَة القُرآنِيَّةَ تُكتَبُ مَرَّةً بلغة قُرَيْش، وفي مَوضِعٍ آخر تُكْتَب كَلِمَة أخرى بِلُغَة هُذَيْلٍ، وهكذا.

2- وقالت طائِفَة: إنّ القُرآنَ كُتِبَ على حَرْفٍ واحِدٍ، هو حَرْفُ قُرَيْشٍ، وأنَّ الأحرُفَ السِّتَّةَ نُسِخَت بإجماع الأُمَّةِ في عَهْدِ عُثمان ﷺ، وبَقِيَ حَرْفٌ واحِدٌ حِفاظاً على وحدَةِ الأُمَّةِ الإسلامِيّة، وحِفْظِها مِن الاختِلاف والنِّزاعِ.

الأسئِلَة:

1- عَرِّف المرادَ بِالأحرُفِ لُغَةً.
2- أُذكر ما تَعرِف مِن أَدِلَّة على نُزولِ القُرآنِ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ.
3- مَن مِن الصَّحابَةِ روى حَدِيثَ نُزولِ القُرآنِ على سَبْعَة أَحْرُف ؟
4- إلى كَمْ قَوْلٍ اختَلَف العُلماء في المرادِ بِالأحرُف السَّبْعَة ؟
5- قالت طائِفَة: إنَّ المرادَ بِالأحرُف السَّبعَة سَبْع لُغاتٍ مِن لُغاتِ العَرَبِ في المعنى الواحِد. وقالت أخرى: إنَّ المرادَ بها سَبْع لُغاتٍ مِن لُغاتٍ نَزَلَ عليها القُرآن، ما الفرق بين القَوْلَين ؟
6- ما أقوالُ العُلماءِ في المراد بالأحرفِ السَّبعة ؟، اذكُرها مع الشَّرح والتَّعرِيف والتَّرجِيح.
7- لِنُزولِ القُرآن على سَبْع أحرُفٍ حِكَمٌ عَدِيدَةٌ، أُذكُر بَعْضَها.
8- الأحرُف السَّبَعَة هل هي باقِيَة في المصاحِف إلى الآن أم لا ؟

الباب الثّامن: المُحْكَمُ والمُتَشابِهُ

المُحْكَمُ والمُتَشابِه

الأَصْلُ في المحكَمِ والمتَشابِه قولُه تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

فقد دلَّت هذه الآيَة على أنَّ بعضَ القرآنِ مُحْكَمٌ وبَعضَه مُتَشابِهٌ، وقد اختَلَف العُلماء في بَيانِ المحكم والمتَشابِه كما سيأتي، وقد وُصِفَ القُرآنُ بِأنَّه محكَمٌ كلُّه في قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١].

كما وُصِفَ بأنَّه مُتَشابِهٌ في قَوْلِه تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾[الزمر: ٢٣].

والمُراد بإحكامِه: إتْقانُه وعَدَمُ تَطرُّق النَّقْص والاختِلاف إليه، وبِتَشابهه كَوْنُه يُشْبِه بَعْضه بعضاً في الحقِّ والصِّدْق والإعجازِ.

والمُحْكَم في اللُّغة: اسمُ مفعولٍ مِن أحكَم، والإحكامُ يُسْتَعْمَل في عِدَّة مَعانٍ تَرجِع إلى المَنْعِ.

يُقال: أَحْكَم الأَمْرَ، أي: أَتْقَنَه ومَنَعَه مِن الفَسادِ، وأحكَمَ الفَرَسَ: جَعَل له حِكْمَة، وهي: الحدِيدَة التي تحيط بِحَنكَي الفَرَسِ وتمنَعه مِن الاضطِراب.

والمُتَشابِه في اللُّغة: هو ما يَدُلُّ على المشارَكَة والمماثَلَة، أو هو كَوْن الشَّيئين بحيث يَعْجز الذِّهْن عن التَّمييز بينهما، ويُقال لِكُلِّ ما لا يَهْتَدي إليه الإنسان: مُتَشابِه.

وأمّا المحكَم والمتَشابِه في الاصطِلاح فقد اختَلَفَ العُلماء فيهما اختِلافاً كثيراً على أقوالٍ، أهمُّها:

1- **المُحْكَم:** هو الواضِحُ المعنى، الظّاهِرُ الدّلالَةِ باعتِبارِ نَفْسِه، أو باعتِبارِ غَيْرِه.
والمُتَشابِه: هو الذي لم يَتَّضِح مَعناه، ولم تَظْهَر دلالَتُه على المعنى المرادِ للهِ لا باعتِبارِ نَفْسِه، ولا باعتِبار غيرِه.
ويدخلُ في ذلك كلُّ ما اسْتَأْثَر اللهُ بِعِلْمِه، كوَقْتِ قِيامِ السّاعَةِ، وخُروجِ الدّابَّةِ، وظُهور المسيحِ الدَّجّالِ، ونُزولِ المسيحِ عيسى بن مريم عليهما السَّلام، وعِلْمِ حَقِيقَةِ الرُّوح، والمرادِ مِن الأحرُفِ المقطَّعة في أوائِلِ السُّوَر، وعلمِ الغَيْبِ، وغيرِ ذلك ممّا اسْتَأثَر اللهُ تعالى بِعِلْمِه.

2- **المُحكَم**: ما لا يَحْتَمِلُ إلّا وَجْهاً واحِداً.

والمُتَشابِه: ما يحتَمِل وُجوهاً، فإذا رُدَّت إلى وَجْهٍ واحِدٍ وأُبْطِلَ الباقِي صار المتَشابِه محكَماً.

3- **المُحكَم**: ما اسْتَقَلَّ بِنَفْسِه ولم يحتَج إلى بَيان.

والمُتَشابِه: ما لا يَسْتَقِلّ بِنَفْسِه، ويحتاج إلى بَيانٍ.

وخِلافُ العلماء في بَيانِ حَقِيقَة المحكَم والمتَشابِه مَبْنِيٌّ على خِلافٍ آخَر بينَهم في الوَقْفِ والابْتِداء في آيَة آل عِمران، وبيانِ هل استأثر الله تعالى بِعِلْم المتَشابِه ؟ أم أنَّ لِلعَقْلِ البَشَرِيِّ مجالاً في إدراكِه وفَهْمِه وبيانِ المراد منه لله تعالى، فهو مِن الحكمَةِ التي يمنَحُها اللهُ لِمَن يشاء مِن عِبادِه، وهم الرّاسِخون في العِلْمِ.

ففَريقٌ مِن العُلماء: يرى أنَّ قولَه تعالى:﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هنا وَقْفٌ تامّ، وما بعدها استِئناف مِن مُبتَدأ و خَبَر، والواو واو الاستِئناف ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ ومعنى ذلك أنَّ الرّاسِخِين في العِلْم يقولون آمَنَّا بِالمتشابِه، وفَوَّضْنا عِلْمَ حَقِيقَة المراد منه للهِ تعالى، وكلٌّ مِن المحكَمِ والمتَشابِه مِن عند رَبِّنا.

وفَرِيقٌ آخَر يقول: إنَّ الواوَ واوُ العَطْفِ، والرّاسِخون في العِلْم يعلَمون تَأوِيلَ المتَشابِه كما يَعْلَمُه الله عزَّ وجلَّ، والوَقْف على ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ وجملة ﴿ يَقُولُونَ ﴾ حالٌ مِن الرّاسِخين أو خَبَرٌ لمبتدأ محذوف، أي: هم يقولون، وعلى ذلك فالمتَشابِه لا يَعْلَم تَأوِيلَه أَحَدٌ إلّا الله والرّاسخون في العلم. والرّاسِخون في العِلْم هم الذين رَسَخَت أَقْدامُهم في العِلْمِ وفي فَهْمِ المعلومات.

والقَول الأوَّل هو قَوْلُ الأكثَرِين مِن الصَّحابَةِ والتّابِعِين وأتباعِهِم ومَن بَعْدَهُم مِن أَهْلِ السُّنَّةِ، وهو أصَحّ الرِّوايات عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وقد استَدلُّوا على صِحَّةِ قولهم بِأدِلَّة كَثِيرَةٍ، منها:

1- ما رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه كان يَقْرَأ:﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ (آل عمران: ٧).

فهذا يدلُّ على أنَّ الواوَ لِلاستِئنافِ لأنَّ هذه الرِّوايَة وإن لم تَثْبُت بها القِراءَة فَأَقَلُّ دَرَجَتِها أن تكونَ خبراً بإسنادٍ صَحِيحٍ إلى تُرجمانِ القرآن، فيُقدَّم كَلامُه في ذلك على غيرِه، أخرجَه الحاكم في مستدركه، وعبد الرزاق في تفسيره، وقد حكى الفَرّاء أنَّ في قِراءة أبيّ بن كعب أيضاً "ويَقُول الرّاسِخُون".

2- ما رُوِي مِن قِراءَة ابن مسعود رضي الله عنه:" إن تَأْوِيله إلّا عند اللهِ والرّاسِخون في العِلْم يقولون آمَنّا به ". أخرجه ابن داود في المصاحف عن طريق الأعمش.

3- ما أخرجه الشَّيخان وغيرُهما عن عائِشة رضي الله عنها قالت:" تَلا رسولُ الله ﷺ هذه الآيَة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إلى قوله:﴿ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ قالت: قال رسول اللّه ﷺ:" فإذا رأيتَ الذين يَتَّبِعون ما تَشابَه منه فأولئِك الذين سَمَّى اللهُ فاحْذَروهُم ". وقد استَدَلَّ أصحابُ القَوْلِ الثّاني على صِحَّةِ قولهم بِعِدَّة أَدِلَّةٍ، منها:

1- ما أخرجَه ابن المنذر مِن طَرِيقِ مجاهِدٍ عن ابن عباس في قوله تعالى:﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ قال: أنا ممَّن يَعْلَم تَأويلَه.

2- وبأنَّ الرَّسولَ صلَّى الله عليه وسلَّم قد دَعا اللهَ لابن عباس فقال:" اللَّهُمَّ فَقِّهْه في الدِّين وعَلِّمْه التَّأوِيل "، ولو كان التَّأوِيل ممّا لا يَعْلَمُه إلّا اللهُ لَما كان لِلدُّعاءِ معنى.

3- ما أخرجَه عبد بن حميد عن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى:﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ﴾ قال:" يَعْلَمون تَأوِيلَه ويقولُون آمَنَّا به ".

الجَمْعُ بين الرَّأيَيْن:

حاوَل الرّاغِب الأصفهاني التَّوفِيقَ بين القَوْلَيْن فقال:

المُتَشابِه على ثَلاثَةِ أَضْرُبٍ:

1- ضَرْبٌ لا سَبِيلَ إلى الوُقوفِ عليه، كَوَقْت السّاعَةِ وخُروجِ الدّابَّة ونحوِ ذلك.

2- وضَرْبٌ لِلإنسانِ سَبِيلٌ إلى مَعْرِفَتِه، كالألفاظِ الغَرِيبَة والأحكامِ المُغْلَقَةِ.

3- وضَرْبٌ مُتَرَدِّد بين الأَمْرَيْن، يختَصّ بمعرَفَتِه بعضُ الرّاسِخين في العِلْم، ويخفى على مَن دونهم , وهو المشار إليه بِقَوْلِه ﷺ لابن عَبّاس رضي الله عنهما:" اللَّهمَّ فَقِهه في الدِّين وعَلِّمه التَّأوِيلَ ". وإذا عَرَفت هذه الجهة عَرَفت أنَّ الوُقوفَ على قولِه:﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ووَصْلَه بِقَوْلِه: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ ﴾ جائِز، وأنَّ لِكلٍّ منهما وَجْهاً حَسْبَما دَلَّ عليه التَّفصِيل المتَقَدِّم.

حِكْمَةُ ذِكْر المُتَشابِهات:

لِذِكْرِ المتَشابهات في القُرآنِ الكَرِيم حِكَمٌ كَثِيرَةٌ، منها:

1- الابْتِلاءُ والاختِبار: فالرّاسِخون في العِلْمِ يقولون آمَنَّا بِه كلٌّ مِن عند رَبِّنا، والذين في قُلوبهم زَيْغٌ يَكفرون بِه ويَتَّبِعون ما تَشابَه منه ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغاءَ تَأْويلِه.

2- إقامَةُ الدَّليل على عَجْزِ الإنسانِ وجَهْلِه مهما أُوتيَ مِن العِلْم، والخضوع للهِ تعالى الذي أحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢).

3- رَحْمَة اللهِ بالإنسانِ الضَّعِيفِ الذي لا يُطِيقُ مَعْرِفَةَ كلِّ شَيْءٍ.

4- الجدُّ والاجتِهاد في الوُصولِ إلى الحقِّ، وكلَّما زادَت المشَقَّة زادَ الثَّواب.

5- تحصِيلُ العُلومِ الكَثِيرَةِ التي تُعِينُ على فَهْمِ القُرآنِ: محكَمِه ومُتَشابِهِه.

الأسئِلَة:

1- ما الدَّليل على أنَّ القرآنَ مُحكَمٌ ومُتَشابِهٌ ؟

2- عَرِّف المحكَم في اللُّغة ثم في الاصطِلاح.

3- عَرِّف المتشابِه في اللُّغة وفي الاصْطلاح.

4- أُذكر أقوالَ العُلماءِ في تَعريف المحكَم والمتَشابِه في الاصْطِلاحِ.

5- أُذكر أقوالَ العُلماءِ في الوَقْفِ والابْتِداء في آيَة آلِ عِمْران، ومعنى الآيَة على كُلِّ قَوْلٍ وأدِلّته.

6- هل استأثَر اللهُ بِعِلْمِ المتَشابِه ؟ أم أنَّ لِلعَقْلِ البَشَرِيِّ مجالاً في فَهْمِه وإدراكِه ؟ كيف تجمَع بين القَوْلَيْن ؟

7- ما الحكمَة مِن ذِكْرِ المتَشابهات في القُرآنِ الكَرِيم ؟

الباب التّاسِع: العامّ والخاصّ

العامّ والخاصّ

العُمومُ في اللُّغَةِ: هو شُمول أَمْرٍ لِمُتَعَدِّدٍ.

وفي الاصطِلاح: هو اللَّفظ المستَغْرِق لجمِيعِ ما يَصْلُح له مِن غَيْرِ حَصْرٍ, (والخاصّ يُقابِل العامّ، فهو اللَّفظ الذي لا يَسْتَغرِق جميعَ ما يَصْلُح له مِن غَيْرِ حَصْرٍ).

والتَّخصِيص: هو إخراجُ بعضِ ما يَتَناوَلُه اللَّفظُ العامّ (أي: إخراج بَعْضِ ما يَتَناوَلُه الحكمُ الثّابِت لأَمْرٍ مُتَعَدِّدٍ).

صِيَغ العُموم:

لِلعُموم صِيَغٌ تَدُلُّ عليه، منها:

1- ((كلّ)) سواء وَقَعَت مُبْتَدأ مِثل قولِه تعالى:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ (الإسراء: ١٣)، أم تابِعَة مثل قَولِه تعالى:﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (ص: ٧٣).

2- ((الذي)) ومُثنّاها وجمعها، مثل قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ (الأحقاف: ١٧)، أي: كلُّ مَن صَدَر منه هذا القَوْل، بِدَلِيل أنَّ ما بعدَه جاء بِصيغَة الجَمعِ في قولِه تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ (الأحقاف: ١٨). وقوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ (النساء: ١٦).

وقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٨٢).

3- ((والتي)) ومثناها وجمعها: مثل قوله تعالى:﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (فصلت: ٣٤).

وقوله:﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ (النساء: ٣٤).

وقوله:﴿ وَٱلَّٰٓئِى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓئِى لَمْ يَحِضْنَ﴾ (الطلاق: ٤).

4- ((وأي، وما، ومَن)) شرطاً واستِفهاماً ومَوْصولاً: مِثل قولِه تعالى:﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الإسراء: ١١٠)، وقوله:﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء: ٩٨)، وقوله:﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (النساء: ١٢٣).

5- ((والمعرّف بأل التي ليست لِلعَهْد)): مثل قولِه تعالى:﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾أي: كلُّ إنسانٍ بِدَليلِ قولِه تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (العصر: 1-3).

ومثل قولِه عزَّ وجلّ:﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٦٧).

وقوله:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

6- ((والنَّكِرة في سِياق النَّفْي أو النَّهي أو الشَّرط)): مثالها في سِياقِ النَّفي في قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ (الحجر: ٢١)، وقوله:﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ومثالها في سِياق النَّهْي قوله تعالى:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾(الإسراء: ٢٣)، ومثالها في سِياق الشَّرط قوله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ (التوبة: ٦).

7- ((اسمُ الجنسِ المضافِ)) مثل قوله تعالى:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾(النور: ٦٣)، أيْ: عن كُلِّ أَمْرٍ للهِ، وقوله تعالى:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾(النساء: ١١).

العامّ على ثَلاثَة أقسام:

أقسامُ العامّ:

الأول: العامّ الباقِي على عُمومِه، مثل قولِه تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾(النساء: ٢٣).

فإنَّه لا خصوصَ فيها، ومثل قوله:﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٧٦).

وقوله:﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩).

الثاني: العامّ المراد بِه الخصوصُ، كقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

فإنَّ المرادَ بالنّاس الأولى نَعيم بن مسعود الأشجَعِيّ، والمراد بالنّاس الثّانية أبو سفيان.

وكقوله تعالى:﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾ (آل عمران: ٣٩). فالمراد بالملائِكة جِبرِيل عليه السلام.

الثالث: العامّ المخصوصُ، وهو في القُرآنِ كَثِيراً جدّاً، وهو الذي سَنُبَيِّنه فيما يأتي:

تعريف الخاصِ وبَيان المُخَصِّص:

الخاصّ:

يُقابِل العامّ، فهو اللَّفظ الذي لا يَسْتَغرِق جميعَ ما يَصْلُح له مِن غَيْرِ حَصْرٍ, والتَّخصُّص هو إخراج بعضِ ما يَتَناوَله اللَّفظ العامّ، أي: الحكمُ الثّابِت لأَمْرٍ مُتَعَدِّد.

والمُخَصِّص:

قد يكون مُتَّصِلاً بالعام، بأن يَكُونا معاً في محلٍّ واحِدٍ، وقد يكون مُنْفَصِلاً عنه في محلٍّ آخَر, فالمخصِّص المتَّصِل جاء في القُرآن على خمسَةِ أنحاء:

1- **الاسْتِثْناء:** مثل قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾(النور: 4-٥).

وقوله تعالى:﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (الشعراء: 224 - 227).

2- **الشَّرط:** نحو قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور: ٣٣).

وقوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ١٨٠).

3- **الوَصْفُ:** مثل قوله تعالى:﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ (النساء: ٢٣). فقوله:﴿ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ صِفَة لِنسائِكم.

4- **الغايـة:** مثل قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، وقوله:﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ (البقرة: ١٨٧).

5- **بَدَلُ البَعْضِ مِن الكُلّ**: مثل قولِه تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧)، فقوله: ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ ﴾ بَدَل مِن ﴿ ٱلنَّاسِ﴾ فيكُون الحجُّ واجِباً على المستَطِيعِ فقط.

والمخَصِّص المنفَصِل قد يكون مخَصَّصاً بآيَة أو أكثَر في محلٍّ آخَر مثل قولِه تعالى:﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

خُصَّ بِقولِهِ تعالى: ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ (الأحزاب: ٤٩).

وخُصَّ أيضاً بقولِه تعالى:﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(الطلاق: ٤).

- ومثل قولِه تعالى:﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (النساء: ٣).

خُصَّ بقولِه تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ ... الآية (النساء: ٢٣).

وقد يكون مخصَّصاً بحدِيثٍ، مثل قولِه تعالى:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

خُصَّ مِن البُيوع الفاسِدَة بِالسُّنَّةِ، ورخِّص مِن الرِّبا بَيعُ العَرايا بِالسُّنَّة كذلك.

وآية: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة: ٣٨).

خُصَّ منه مَن سَرق أقَلّ مِن دِينارٍ بالسُّنَّةِ أيضاً.

وقد يكون مخصَّصاً بالإجماعِ، ومثاله: آيَة المواريث خُصَّ منها الرَّقِيق فَلا يَرِث بالإجماع، وقد يكون مخصَّصاً بالقياس، ومِثاله: آيَة الزِّنا في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢).

خُصَّ منها العَبْد بِالقِياس على الأَمَة المنصوصِ عليها في قولِه تعالى:﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ (النساء: ٢٥).

الأسئِلَة:

1- عَرِّف العامّ لُغَةً، واصْطِلاحاً, ثم اذكُر صِيَغ العُمومِ.

2- أُذكر أقسامَ العام, ثمَّ مَثِّل لِلعام الباقِي على عُمومِه, والعام المراد به الخصوص.

3- عَرّف الخاص، ثم بيِّن معنى التَّخصِيص، وأحوال المخَصِّص.

4- على كَم نحو جاءَ المخَصِّص المتَّصِل في القرآن ؟ مع التَّمثِيل.

5- أُذكر مِثالاً لِلمُخَصَّص المنفَصِل بِأكثر مِن آية.

6- أُذكر مِثالاً لِلمُخَصِّص بالإجماع، والمخصِّص بِالسُّنَّة، والمخصِّص بالقِياسِ.

الباب العاشِر: النّاسِخ والمَنْسوخ

النّاسِخ

يُطلَق النَّسخُ في اللُّغَة على عِدَّة مَعانٍ، منها:

1- **الإزالَة**: يُقال: نَسَخَت الشَّمسُ الظِّلَّ، أي: أزالَتْه.

2- **التَّبدِيل**: ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ (النحل: ١٠١).

3- **التَّحوِيل**: وهو نَقْلُ الشَّيءِ وتحوِيلُه مع بَقائِه في نفسِه، ومنه: تَناسُخ المواريث بانتِقالها مِن قومٍ إلى قَوْم.

4- **النَّقْل مِن مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ**: وفيه نَسَخْتُ الكِتابَ: إذا نَقَلت ما فيه حاكِياً لِلَفْظِه وخَطِّه.

وفي الاصطِلاح: هو رَفْعُ الحكْمِ الشَّرعِيِّ بخطابٍ شَرْعِيٍّ مُتَراخٍ عنه.

شَرْحُ التَّعرِيف وإخراج المُحْتَرزات:

قَوْلُنا:" **رَفْعُ** " جِنسٌ في التَّعرِيف خَرَج به ما ليس بِرَفعٍ، كالتَّخصِيص فإنَّه قَصْرٌ لِلحُكْمِ على بَعْضِ أفرادِهِ.

وقولنا:" **الحُكْم الشَّرعيّ** " قَيْدٌ أوَّل في التَّعريف خَرَج به رَفْعُ الحكمِ العَقْلِيِّ، كابتِداء إيجاب العِبادات فإنه رَفْعٌ لحكْمِ العَقْلِ بِبَراءَةِ الذِّمَّةِ منها قَبْل وُرُودِ الشَّرع بها.

وقولنا:" **بخطابٍ شَرْعِيٍّ** " قَيْدٌ ثانٍ في التَّعريف خَرَج به رَفْعُ حُكْمٍ شَرعِيٍّ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، وذلك كَحُكْمِ العَقْلِ بِسُقوطِ التَّكلِيفِ عن الإنسانِ بموتِه أو جُنونِه، وخَرَج به رَفْعُ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ بإجماعٍ أو قِياسٍ؛ لأنهما ليسا بِخِطابٍ.

وقولنا:" **مُتَراخٍ عنه** ": قَيْدٌ ثالِث لِتَحْقِيقِ النَّسْخِ، فلا بُدَّ مِن وُجودِ حُكْمٍ مُتَقَدِّمٍ يَقَع نَسْخُه بحكمٍ مُتَأَخِّرٍ عنه في النُّزولِ، ولا بُدَّ مِن تحقِيقِ التَّعارُضِ بينَهما تَعارُضاً لا يمكن الجمع بينَهما إلّا بِنَسْخِ السّابِقِ منهما وإحكامِ اللّاحِقِ؛ لأنَّ النَّسْخَ ضَرورَةٌ لا يُصارُ إليها إلّا عند التَّعارُضِ الحقِيقِيِّ، دَفْعاً لِلتَّناقُضِ في تَشْرِيع الحكيم العَلِيم، وحيث لا تَعارُضَ على الحقِيقَةِ فلا نَسْخَ، ولا رَيْبَ أنَّ إعمالَ الدَّلِيلَيْن ولو بِنَوْعِ تَأوِيلٍ خَيْرٌ مِن إعمالِ دَلِيلٍ وإهدارِ دَلِيلٍ آخَر.

شُروط النَسْخِ:

نُدرِك ممّا سبق أنَّه لا بُدَّ في تحقِيقِ النَّسخ مِن أُمورٍ أربَعَةٍ باتِّفاقِ جمهور العُلَماء، وهي:

1- أن يكونَ المنسوخُ حُكْماً شَرْعِيّاً.
2- أن يكونَ النّاسِخ حُكْماً شَرْعِيّاً .
3- أن يكونَ الدَّلِيل النّاسِخ مُتَراخِياً عن دَلِيلِ الحكمِ المنسوخِ غير المتَّصلِ بِه كاتِّصالِ القَيْد بالمقَيَّد والتَّأقِيت بالمؤَقَّت.
4- أن يكون بين الدَّلِيلَيْن تَعارُضٌ حَقِيقِيٌّ بحيث لا يمكِن الجمع بَيْنَهما.

طُرُق مَعْرِفَة النَّسْخِ:

لا بُدَّ في تحقِيقِ النَّسْخِ مِن وُرودِ دَلِيلَيْن شَرْعِيَين مُتَعارِضَيْن تَعارُضاً حَقِيقِيّاً، بحيث لا يمكِن الجمع بينهما بأيِّ وَجْهٍ مِن وُجوهِ التَّأوِيل، وحينَئِذٍ لا بُدَّ أن نَعْتَبِر أحدَهما ناسِخاً والآخَر مَنْسوخاً دفعاً للتَّعارض في كلامِ الشّارع الحكيم، ولا بُدَّ مِن دَلِيلٍ صَحِيحٍ نَعْرِف بِه المتَقَدِّم مِن المتَأَخِّر فيكون المتَقَدِّم مَنْسوخاً والمتَأَخِّر ناسِخاً، وهذا الدَّلِيل يُعْرَف بِأحَدِ الطُّرُقِ الآتِية:

الأوَّل: أن يكونَ في أحَدِ النَّصَّيْن ما يَدُلُّ على تَعيين المتَأَخِّر منهما، نحو قوله تعالى:﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(المجادلة: ١٣).

وقوله ﷺ: " كنت نهيتُكم عن زِيارَة القُبورِ ألا فَزوروها ولا تَقُولوا هجراً ". رواه الحاكم.

الثّاني: أن يَنْعَقِد إجماعٌ مِن الأُمَّةِ في أيّ عَصْرٍ مِن عُصورِها على تَعْيِين المتَقَدِّم مِن المتَأخِّر.

الثّالث: أن يَرِدَ مِن طَرِيقٍ صَحِيحٍ عن أحَدِ الصَّحابَة ما يُفِيد تَعيين المتَقَدِّم مِن المتَأَخِّر، كأن يقول: نزلت هذه الآيَة بعد تلك الآية، أو يقول: نزلت هذه عام كذا وكان وَقْتُ نُزولِ الأُخرى مَعروفاً.

ما يقع فيه النَّسْخ:

النَّسخ لا يكون إلّا في الأحكام في فُروعِ العِبادات والمعاملات؛ لأنَّه رَفْعُ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ بحكمٍ شَرْعِيٍّ مُتَراخٍ عنه، أمّا العَقائِد وأمُّهات الأخلاقِ وأُصول العِبادات والمعامَلات ومَدلولات الأخبارِ المحضَة فلا نَسْخَ فيها على الرَّأي الصَّحِيح عند جمهورِ العُلَماء.

أقسامُ النَّسْخِ:

النَّسخُ في الشَّرِيعَة الإسلامِيَّة يَنْقَسِم إلى أربعَةِ أقسامٍ:

الأوّل: نَسْخُ القُرآنِ الكريم بالقُرآن، وهذا القِسم مُتَّفَقٌ على جَوازِهِ ووُقوعِه مِن القائِلين بِالنَّسخِ، وهو ينقَسِم إلى ثَلاثَة أنواعٍ سنذكرها فيما بعد.

الثّاني: نَسْخُ القرآنِ بالسُّنَّة، وتحتَه نَوْعان:

(أ) نَسْخُ القُرآنِ بِالسُّنَّةِ الآحادِيَّة، وجمهور العُلماء على عَدَمِ جَوازِهِ؛ لأنَّ القُرآنَ مُتَواتِرٌ يُفِيد اليَقِينَ، والآحادِيّ مَظْنُونٌ، ولا يَصِحّ رَفْعُ اليَقِينِ بِالظَّنّ.

(ب) نَسْخُ القُرآنِ بِالسُّنَّةِ المتَواتِرَة، وقد أجازَه مالِك وأبو حنِيفَة وأحمد في رِوايَة؛ لأنَّ الكُلَّ وَحْيٌ.

قال تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم: 4.3).

قال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤).

والنَّسخُ نَوْعٌ مِن البَيانِ، ومَنَعَه الشّافِعِيّ وأهلُ الظّاهِر وأحمَد في الرِّوايَة الأُخرى، لقوله تعالى:﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (البقرة: 106).

والسُّنَّة ليسَت خَيْراً مِن القُرآنِ ولا مِثْلَه.

الثّالِث: نَسْخُ السُّنَّةِ بِالقُرآنِ، وقد أجازَه الجمهور، وذلك كالتَّوجُّهِ إلى بَيْتِ المقدِس كما ثَبَتَ بِالسُّنَّةِ وليس في القُرآن ما يَدُلّ عليه، وقد نُسِخَ بالقُرآن في قولِه:﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (البقرة: ١٤٤).

ومنَع هذا القِسمَ الشّافِعِيّ في إحدَى رِوايَتَيْه.

الرّابع: نَسْخُ السُّنَّةِ بِالسُّنَّةِ، وتحتَه أربعَةُ أنواعٍ:

1- نَسْخُ المتواتِرَة بالمتَواتِرَة.
2- نَسْخُ الآحادِ بِالآحادِ.
3- نَسْخ الآحادِ بِالمتَواتِرَة.
4- ونَسْخ المتَواتِرَة بِالآحادِ.

والثَّلاثَة الأولى جائِزة، وأمّا النَّوع الرّابع فَفِيه الخلاف الوارِد في نَسْخِ القُرآنِ بِالسُّنَّةِ الآحادِيَّة، والجمهور على عَدَم جَوازِهِ.

أَنْواع النَّسْخ في القُرآنِ الكَرِيم:

النَّسْخ في القُرآنِ ثَلاثَةُ أَنْواعٍ:

النَّوع الأوَّل: نَسْخ التِّلاوَةِ والحكْمِ معاً، ومِثاله: ما رواه مسلِم وغيرُه عن عائِشَة رضي الله عنها، قالت:"كان فِيما أُنْزِل عَشْر رَضَعاتٍ مَعلُوماتٍ يحرِّمْن فَنُسِخْن بخمسٍ مَعلوماتٍ، فتُوفي رسولُ الله ﷺ وهُنَّ ممّا يُقرَأ مِن القُرآنِ ".

والظّاهِر أنَّ التِّلاوَةَ نُسِخَت ولم يَبْلُغ ذلك كُلَّ النّاسِ إلّا بعد وَفاةِ الرَّسولِ ﷺ، فتَوُفِّي وبعضُ النّاس يَقْرَؤُها.

النَّوع الثّاني: نَسْخُ الحكمِ وبَقاءُ التِّلاوَةِ مثل: نسخ آيَة العِدَّةِ بالحولِ مع بَقاءِ التِّلاوَةِ بآيَة التَّرَبُّصِ أربعَة أشهر وعشراً، والحكمة في نَسْخِ الحكم وبَقاء التِّلاوَة كَثْرَة الثَّواب على التَّلاوَةِ، والتَّذكِير بِنِعْمَةِ اللهِ في رَفْعِ المشَقَّة، وهذا النَّوع الذي أَلَّف فيه العلماء، وسنذكر له فيما بعد بعض الأمثِلَة.

النَّوع الثّالث: نَسْخُ التِّلاوَةِ مع بَقاءِ الحكم، ومِثال ذلك: آيَة الرَّجْم ((الشَّيخ والشَّيْخَة إذا زَنَيا فارجموهُما البَتَّة نَكالاً مِن اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))، وبعضُ أهلِ العِلْمِ يُنْكِر هذا النَّوعَ مِن النَّسخ، وحجَّتُهم أنَّه قائِمٌ على أخبارِ الآحادِ، ولا يجوز القَطْعُ على إنزالِ قُرآنٍ ونَسْخِه بِأخبارِ الآحادِ.

الحِكمَة في النَّسْخ:

وقَعَ النَّسْخُ بِالشَّرِيعَة الإسلامِيّة فَنَسَخ اللهُ بالإسلامِ كلَّ دِينٍ سَبَقَه؛ لأنَّه أكمَلُ تَشْرِيعٍ يَفِي بحاجاتِ البَشَرِيَّة ويُناسِبُها في آخِر مَراحِلِها التي انتَهَت إليها بعد أن بَلَغَت أَشُدَّها واستَوت فكان

الإسلامُ هو الدِّين العام الخالِد الخاتم الذي رَضِيَه اللهُ لِلبَشَرِيَّة دِيناً، ولم يَرْضَ بِغيرِهِ بَدِيلاً، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(المائدة: ٣).

وقال أيضاً:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران: ١٩).

وقال:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

كما وَقَع النَّسخ في الشَّريعة الإسلامِيَّة فنَسَخ اللهُ بعضَ أحكامِ هذا الدِّين بِبَعضٍ لحكَمٍ كثيرة، منها:

1- مُراعاةُ مَصالح العِبادِ، وتَربِيَتُهم في أطوارٍ مختَلِفَةٍ بِالأحكام الدِّينيَّة المناسِبة لهم في الأزمِنَة المختَلِفَة، والتَّطوُّر بهم إلى مَرْتَبَةِ الكَمالِ.

2- تَذكِيرُ النِّعمَةِ بِرَفْع المشَقَّة كما هو الغالِب في النَّسخ مِن الأشَقِّ إلى الأَيْسَرِ.

3- ابتِلاءُ المكَلَّف واختِبارُه بالامتِثال وعَدَمِه.

أدِلَّة ثُبوتِ النَّسخِ عَقْلاً وسَمْعاً:

أمّا أَدِلَّة جَوازِ النَّسْخِ عَقْلاً، فَمِنها:

1- أنَّ النَّسخَ لا محظورَ فيه عَقْلاً، وكلُّ ما كان كذلك فهو جائِز عقلاً.

2- أنَّ النَّسخَ لو لم يكُن جائزاً عقلاً لَما ثَبَتَت رِسالَة سيِّدنا محمَّد ﷺ إلى النّاسِ كافَّة، لكنها ثابِتَة بالأدِلَّة القاطِعَة، إذً فالشَّرائِع السّابِقَة مَنسوخَة بِالشَّرِيعَة الإسلامِيَّة وليست باقِيَةً، إذاً فالنَّسخُ جائِزٌ وواقِعٌ.

وأمّا أدِلَّة وُقوعِه سَمْعاً، فَمِنها:

1- قوله تعالى:﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾ (البقرة: ١٠٦). والخيرِيَّة قد تكون في النَّفْعِ وقد تكون في الثَّواب، وقد تكون فيهِما معاً، أمّا المثْلِيَّة فلا تكون إلّا في الثَّوابِ فقط.

2- قوله تعالى:﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (النَّحل: ١٠١).

3- قوله تعالى:﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (الرعد: ٣٩).

4- قوله تعالى:﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴾ (النساء: ١٦٠).

ووَجه الدّلالَة أنها تُفِيد تحرِيمَ ما أحَلَّ مِن قَبْل، وذلك هو النَّسْخ، والمنسوخ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، لا بَراءَةَ أصلِيَّة، بِدَلِيل قوله:﴿ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴾.

مَوْقِف العُلَماء مِن النَّسْخِ:

اختَلف العُلماء في مَوْقِفِهم مِن النّاسِخ والمنسوخ في القُرآن بين مُقَصّرٍ ومُقْتَصِدٍ وغالٍ، فالمقصرون حاولوا التَّخَلُّصَ مِن النَّسخ إطلاقاً بِتَأوِيله بِالتَّخصِيص كأبي مسلم الأصفهاني ومَن تَبِعَه.

والمقتَصِدون يقولون بِالنَّسخ في حُدودِهِ المعقولَة التي يَقتَضِيها وُجود التَّعارِض الحقِيقِيّ بين الأدِلَّة، مع مَعرِفَة المتَقَدِّم مِن المتَأخِّر، وقد أحكموا تَعرِيفَ النَّسخِ فلم يُدْخِلوا فيه ما ليس مِنه، ولم يخرجوا منه ما هو داخِلٌ فيه.

والغالُون أدخَلوا في النَّسخِ ما ليس مِنه بِناءً على الاشتِباه والغَلَط، فشَحَنوا كُتُبَهم بِكَثِيرٍ مِن الآيات التي لا دَخْلَ لها في النَّسخ، وقال بعضهم: إنَّ آيَةَ السَّيْفِ وحدَها نَسَخَت مائِةً وأربَع عَشْرَة آيَة، ومن هؤلاء أبو جعفر النَّحاس، وهِبَة الله بن سَلامَة، وأبو عبد الله محمد بن حزم.

أمْثِلَة لِبَعْضِ الآيات التي اشْتَهَرت بأنَّها مَنْسُوخَةٌ:

ذهب المحقِّقون مِن العلماء كالسُّيوطي وابن العربي إلى أنَّ الآيات التي يمكِن أن تكون مَنْسُوخَةً لا تَتَجاوَز اثْنَين وعِشرِين آيَةً، ولِمَن أنكَرَ النَّسخَ في القرآن تَأوِيلاتٌ لهذه الآيات تَذْهَب بها عن مَواطِن النَّسخ، وبعض هذه التَّأوِيلات مَقْبُولٌ وبعضُها غير مَقْبُولٍ، وبعضُها محتَمِلٌ لِلقَبولِ وعَدَمِه, وذهب محقِّقوا المحقِّقِين إلى أنَّه لا سَبِيلَ لِمَعرِفَة المتَقَدِّم مِن المتَأَخِّر يَقِيناً إلّا في ثَلاثِ آياتٍ فقط، ولا مَفَرَّ مِن القَولِ بِالنَّسخ فيها، وهي:

- آيتا الأنفال (65 – 66): ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ والتي بَعدَها.
- وآيتا المجادَلة (12 – 13): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ والتي بعدها.

وآيتا المزَّمِّل في أولها وآخِرِها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ الآية.

وسَنبْدأ بهذه الآيات, ثم نذكُر أمثِلَةً أخرى.

الآيَة الأُولى:

قولُه تعالى: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (الأنفال: 65).

فإنها مَنْسوخَةٌ بِالآيَة التي بعدَها، وهي قَوْلُه سُبحانَه: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾ (المجادلة آية 12، 13).

وبيانُ ذلك:

أنه لَمّا أكثَر الصَّحابَة مِن أسئِلَتِهم لِرسولِ اللهِ ﷺ حتى شَقّوا عليه، وضاقَ صَدْرُه ﷺ بذلك أراد اللهُ أن يخفِّف عن نَبِيِّه؛ فأمَر المؤمِنين بِتَقْدِيم صَدَقَةٍ عند مُناجاةِ الرَّسولِ ﷺ فانكَفّ الصَّحابَة رضي الله عنهم وأَشْفَقوا، فلمّا أدركوا أنَّ السُّؤالَ لا يكون إلّا عند الحاجَة أنزَلَ اللهُ تعالى الآية التي بعدها، وأعفى المسلمِين مِن تَقديم الصَّدقات عند المناجاةِ، وتابَ عليهِم وأَمَرَهُم بإقامَةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزكاة وطاعَةِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ، ففي ذلك خيرٌ عَظِيمٌ لهم.

فالأَمْرُ بِتَقديم الصَّدقَة عند مُناجاة الرَّسول ﷺ والإعفاء منها حُكمان مُتَناقِضان، والجمع مُتَعَذِّر، والثّانية مُتَأخِّرَة عن الأُولى يَقِيناً، فصار الأمر إلى القَوْلِ بِالنَّسْخ.

الآيَة الثّالثة:

زِدْ قولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ (المزمل: 1 - 4).

فإنها منسوخَةٌ بقَولِه تعالى في آخِر السُّورة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (المزمل: ٢٠).

فقد أفادت الأولى وُجوبَ قِيامِه ﷺ نِصْفَ اللَّيل أو أنقَص منه قليلاً أو أزيَد عليه، وأمّا الثّانية فقد أفادَت أنَّ اللهَ تاب على النَّبيِّ ﷺ وأصحابِه رضي الله عنهم, في هذا بأن رَخَّصَ لهم في تَرْكِ قِيامِ اللَّيل، ولا شَكَّ أنَّ هذا الحكمَ الثّاني رافِعٌ للأوَّل؛ لأنهما مُتعارِضان، والجمعُ مُتعَذِّر، والثّاني مُتَأخِّر عن الأوَّل يَقِيناً فتَعَيَّن النَّسخ.

الآية الرّابِعَة:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ ﴾ (النُّور: 58).

قيل: أنها مَنسوخَةٌ بالآيَة التي تَلِيها وهي قولُه تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾(النُّور: 59).

والحقَّ أنها مُحْكَمَةٌ وليسَت مَنسوخَةً؛ لأنَّه لا تَعارُضَ بين الآيتين؛ إذ الأُولى تَأْمُر الخدَمَ والصِّغارَ دون البلوغ بالاستِئْذان نَدْباً قبل الدُّخولِ في ثَلاثَةِ أوقاتٍ يَستَرِيح فيها الإنسانُ غالِباً، وقد يَتَخَفَّف مِن مَلابِسِه، وذلك حمايَة لِلأعراضِ مِن الانْتِهاك، وحِفْظاً للأنظار أن ترى ما لا يَلِيقُ رُؤْيَتُه في أوقاتِ التَّبَذُّلِ، وتَأْمر الآيَة الثّانِية الأطفالَ إذا بلغوا الحلُمَ أن يَسْتَأْذِنوا عند الدُّخولِ وُجوباً في كلِّ وَقْتٍ، فالأولى تُبَيِّن حُكْمَ الاستِئْذان بالنِّسبة للأطفال دون البُلوغِ، ومَن شابهم مِن الإماءِ والعَبِيد، والثّانية تُبَيِّن حُكْمَ الاستِئْذان بالنِّسبَة لِلبالِغِينَ الكِبارِ، إذً فلا تَعارُضَ ولا نَسْخَ.

الآيَة الخامِسَة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖ ﴾ (البقرة: 240).

فإنها مَنسوخَةٌ بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ (البقرة: 234).

لأنَّ الآيَةَ الأُولى أفادَت أنَ مَن يُتَوفَّى عنها زَوْجها يُوصَى لها بِنَفَقَةِ سَنَةٍ وبِسُكنى مُدَّة حَوْلٍ ما لم تخرُج، فإن خَرَجَت فلا شَيْءَ لها.

وأمّا الثّانِيَة فقد أفادَت وُجوبَ انتِظارِها أربعَة أَشْهُرٍ وعَشْراً، فليس لها أن تخرُجَ في هذه المدَّة أو تَتَزَوَّج، وهذا الوُجوبُ مُتَعارِضٌ مع التَّخيير، فآلَ الأَمْرُ إلى أنَّها مخيَّرة وغير مخيَّرة، وهو تَناقُضٌ يتَعَذَّر معه الجمعُ ، وقد اتُّفِقَ على أنَّ الآيَةَ الثّانِيَة مُتَأَخِّرَة في النُّزولِ عن الآيَةِ الأُولى فتَعَيَّن النَّسخُ، وإلى ذلك ذَهَب الجمهور.

الآية السّادِسَة:

قوله تعالى:﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: 284).

فإنها مَنسوخَةٌ بقولِه تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وبيانُ ذلك: أنَّ الآيَة الأولى تُفِيد أنَّ اللهَ يُكَلِّف العِبادَ حتى بِالخطرات التي لا يملِكُونها لها دَفْعاً، لأنَّه سَيُحاسِبُهم على ما في أنفسِهم مِن الوَسْوَسَةِ والخاطِر إذا تَعَلَّقت بمحَرَّم، والآية الثّانية تُفِيد أنَّه لا يكلِّفهم بها؛ لأنَّه لا يُكَلِّف نَفْساً إلّا وُسْعَها، وهذا تَعارُضٌ، والجمعُ مُتَعَذِّر، والآيَة الأولى مُتَقَدِّمَة في النُّزولِ فآل الأَمْرُ إلى النَّسْخ.

رُوِي أنَّه لَمّا نَزَلَت الآيَة الأولى قَلِقَ الصَّحابَة وبَرَكوا على الرُّكَب وقالوا: يا رسولَ الله، كُلِّفْنا مِن الأعمالِ ما نُطِيق، وقد أُنزِلَت عليك هذه الآيَة ولا نُطِيقُها، فلمّا فَعَلوا ذلك نَسَخَها اللهُ عزَّ وجلَّ، فأنزَل قولَه تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾(البقرة: ٢٨٦).

الأسئِلَة:

1- عَرِّف النَّسخَ لُغَةً واصطِلاحاً، مع إخراجِ المحترَزات.
2- أُذكر شُروطَ النَّسخِ المتَّفق عليها والمختَلَفِ فيها.
3- أُذكر طُرُقَ مَعرِفَة النَّسْخِ, وما لا يَكفِي في مَعرِفَة النَّسخ.
4- أُذكر ما يَقَع فيه النَّسخ وما لا يَقَع فيه.
5- أُذكر أقسامَ النِّسخِ إجمالاً, ثم اكتُب عن نَسْخ القُرآنِ بِالسُّنَّةِ بِالتَّفصِيل.
6- ما أنواع النَّسخِ في القرآن ؟، مع التَّمثِيل.
7- ما حِكمَة وُقوعِ النَّسخِ في القرآن ؟
8- أُذكر الأدِلَّة على ثُبوتِ النَّسخ عَقْلاً وسمعاً.

9- بيِّن القَوْلَ في هذه الآيات هل هي مَنسوخَة أم لا، وما النّاسِخ لها:

(أ) الآية: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ ؟

(ب) الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ ؟

(ت) الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾ ؟

(ث) الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ ؟

(ج) الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ ؟

(ح) الآية: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ ؟

الباب الحادِي عَشَر: المُطْلَق والمُقَيَّد

المُطْلَق والمُقَيَّد

المُطْلَقُ: هو ما دَلَّ على الحقِيقَةِ بِلا قَيْدٍ، فالمطْلَق يَتَناوَلُ واحِداً لا بِعَيْنِه مِن الحقِيقَةِ، وذلك مثل لَفْظِ رَقَبَة في قوله تعالى:﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾(المجادلة: ٣).

فهو يتَناوَل عِتْقَ إنسانٍ مملوكٍ، وهو شائِعٌ في جِنْسِ العَبِيدِ، مُؤمِنهم وكافِرهم على السَّواء.

والمُقَيَّد: هو ما دَلَّ على الحقِيقَةِ بِقَيْدٍ، وذلك مِثل الرَّقَبَة المقَيَّدَة بالإيمان في قولِه تعالى:﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾ (النساء: ٩٢).

قال العُلَماء: متى وُجِد دَلِيلٌ على تَقيِيد المطلَق صارَ الأمْرُ إليه، وإذا لم يُوجَد فَيَبْقى المطلَقُ على إطلاقِهِ والمقَيَّد على تَقْيِيده؛ لأنَّ اللهَ تعالى خاطَبَنا بِلُغَةِ العَرَبِ.

والضّابِط: أنَّ اللهَ إذا حَكَمَ في شَيْءٍ بِصِفَةٍ أو شَرْطٍ، ثم وَرَدَ حُكْمٌ آخَر مُطْلَقاً نُظِرَ؛ فإن لم يَكُن له أصلٌ يُرَدُّ إليه إلّا ذلك الحكم المقَيَّد وَجَبَ تَقيِيدُه به، وإن كان له أَصْلٌ غيرُه لم يَكُن رَدُّه إلى أحدِهِما بأولى مِن الآخَر.

أمثِلَةُ المُطْلَقِ الذي يُحْمَل على المُقَيِّد:

1- مثل اشتِراط العَدالَة في الشُّهود على الرَّجْعَة والفِراقِ والوَصِيَّة في قوله تعالى:﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ (الطَّلاق: ٢).

وقولـــه تعـــالى:﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ (المائدة: ١٠٦).

وقد أطلَق الشَّهادَة في البُيوعِ وغيرِها، في قوله تعالى:﴿ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ ﴾(البقرة: ٢٨٢).

وقوله تعالى:﴿ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾(النساء: ٦).

فهنا يجِب حَمْلُ المطلَق على المقَيَّد باشتِراط العَدالَة في الجمِيعِ.

2- ومنه أيضاً تَقْيِيد مِيراثِ الزَّوجَيْن بقوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ (النساء: ١٢).

وإطلاقُ الميراثِ فيما أُطْلِقَ فيه كآيَةِ الكَلالَة التي في آخِر سُورَة النِّساء، فيَجِب حَمْلُ المطْلَق على المقَيَّد بأن تكونَ المواريث كلُّها بعد الوَصِيَّة والدَّين.

3- ومِنه أيضاً تَقْيِيد الأيدي إلى المرافِق في الوُضوء، وإطلاقُه في التَّيَمُّم، فيُحْمَل المطلَق على المقيَّد عند الشّافِعِيَّة.

4- ومِنه ما اشْتِرط في كَفّارَةِ القَتْلِ مِن تحرِيرِ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وأطلَقَها في كَفّارَةِ الظِّهارِ واليَمِين؛ فيُحمَل المطْلَق على المقَيَّد، بأن تكون الرَّقَبَة مُؤْمِنَةً.

5- ومِنه كذلك تَقْيِيد إحباطِ عَمَلِ المرْتَدِّ بِالموتِ على الكُفْرِ في قولِه سبحانه: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ (البقرة: ٢١٧).

وأطلَق في قولِه تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ (المائدة: ٥).

فيُحمَل المطْلَق على المقَيَّد.

6- ومِن ذلك أيضاً تحرِيم الدَّمِ المسفُوح في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ (الأنعام: ١٤٥).

وأطلَق فيما عَداها كقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ (المائدة: ٣).

فَحمل المطلَقُ على المقَيَّد.

ومَذْهَب الإمام الشّافِعِي رحمه الله حَمْلُ المطلَقِ على المقَيَّدِ في الجمِيع، ومِن العُلماء مَن لا يحمِلُه، ويجوِّز إعتاقَ الكافِر في كفّارة الظِّهار واليَمِين، ويكتَفِي في التَّيَمُّم بِالمسْحِ إلى الكُوعَيْن، ويقول بأنَّ الرِّدَّةَ تحبِط بمجَرَّدِها.

الأسئِلَة:

1- عَرّف المطْلَقَ والمقَيَّد, مع التَّمثِيل لِكُلٍّ منهما.
2- متى يجِب حَمْلُ المطلَقِ على المقَيَّد ؟ ومتى لا يجِب ؟
3- أُذكر ثَلاثَةَ أمثِلَة لحمْلِ المطْلَقِ على المقَيَّد.
4- أُذكر مَذاهِب العُلَماء في حَمْلِ المطْلَقِ على المقَيَّد.

الباب الثّاني عشر: المَنْطُوقُ والمَفْهُوم

المَنْطُوقُ والمَفْهوم

المَنْطُوقُ: هو ما دَلَّ عليه اللَّفْظ في محَلِّ النُّطْقِ، فدلالَتُه تكون مِن مادَةِ الحروف التي يُنْطَق بها، وله أقسامٌ منها: النَّصّ، والظّاهِر، والمؤَوَّل.

1- **فالنَّصُّ**: هو ما يُفِيد بِنَفْسِه معنى صَرِيحاً لا يحتَمِلُ غيرَه، مثل قوله تعالى:﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة: ١٩٦).

فوَصْفُ العَشَرَةِ بِكامِلَةٍ قَطْعٌ احتِمالِ العَشَرَة لِما دُونها مجازاً، وهذا هو الغَرَضُ مِن النَّصِّ.

2- **والظّاهِر**: هو ما سَبَق إلى الفَهْم منه عند الإطلاقِ مَعْنىً مع احتِمال غيرِهِ احتِمالاً مَرجُوحاً, كقوله تعالى:﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ (البقرة: ١٧٣).

فإنَّ الباغِي يُطلَق على الظّالم وعلى الجاهِل، ولكنَّ إطلاقَه على الظّالم أظهَر، فهو إطلاقٌ راجِحٌ، وإطلاقُه على الجاهِل مَرجُوحٌ.

3- **والمُؤَوَّل**: هو ما حُمِلَ لَفْظُه على المعنى المرجوحِ لِدَلِيلٍ يمنَع مِن إرادَةِ المعنى الرّاجِحِ، كقوله تعالى:﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ (الإسراء: ٢٤).

فنَحمِل ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ على الخضُوعِ والتَّواضُع وحُسْنِ مُعامَلَةِ الوالِدَين؛ لاستِحالَة أن يكون للإنسانِ أجْنِحَة.

والمَفهوم: هو ما دلَّ عليه اللَّفظ لا في محلِّ النُّطْقِ. وهو قِسمان:

مَفْهُومُ مُوافَقَةٍ، ومَفْهُوم مُخالَفَةٍ:

1- **مَفْهُومُ المُوافَقَةِ**: وهو ما يُوافِقُ حُكْمُه حُكْمَ المنطوقِ, وهو نَوعانِ:

(أ) فَحْوى الخِطابِ.

(ب) لَحْن الخطابِ.

(أ) **فَحْوى الخِطابِ**: هو ما كان المَفْهُوم فيه أَوْلى بِالحكمِ مِن المنطوقِ، كَفَهْم تحرِيم الشَّتْمِ والضَّرب مِن قولِه تعالى:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ (الإسراء: ٢٣).

فمَنطوقُ الآيَة: تحرِيمُ التَّأفُّف، فيكون تحرِيم الشَّتْم والضَّرب مِن باب أولى؛ لأنهما أشَدّ.

(ب) **لَحْنُ الخِطابِ**: وهو ما يَثْبُتُ الحكْمُ فيه لِلمَفْهُومِ كَثُبوتِهِ لِلمَنْطوقِ على حَدٍّ سَواء، كدلالَة قولِه تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ (النساء: ١٠).

على تحريم إحراقِ أموالِ اليَتامَى وإتلافِها بأيّ نَوْعٍ مِن أنواعِ التَّلَفَ؛ لأنَّ هذا مُساوٍ لِلأكْلِ في الإتلافِ.

2- **مَفهُوم المُخالَفَة**: وهو ما يُخالِفُ حُكْمُه حُكْمَ المنطوقِ, وهو أَرْبَعةُ أَنْواعٍ:

النَّوع الأَوَّل: مَفْهُوم شَرْطٍ، كقوله تعالى:﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾ (الطَّلاق: ٦).

فمَعناه: أنَّ غيرَ الحوامِلِ لا يجِب الإنفاقُ عَلَيْهِنّ.

النَّوع الثّاني: مَفْهُوم غايَة، كقولِه تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ (البقرة: ٢٣٠).

فمَفهُوم هذا أنَّها تحِلُّ للأوَّلِ إذا نَكَحَت غيرَه بِشُروطِ النِّكاحِ.

النَّوع الثّالث: مَفْهُوم حَصْرٍ, كقولِه تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥).

مَفهُومُه أنَّ غيرَه سبحانَه لا يُعْبَد ولا يُسْتَعان بِه.

النَّوع الرّابِع: مَفْهُوم صِفَةٍ، والمراد بها الصِّفَة المعنَوِيَّة, كالعَدَدِ في قوله تعالى:﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ (البقرة: ١٩٧).

مَفْهُومُه: أنَّ الإحرامَ بالحجِّ لا يَصِحّ في غيرِ أَشْهُرِ الحجِّ.

وكالحالِ في قولِه تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ (المائدة: ٩٥).

فهو يدلُّ على انتِفاءِ الحكم في المخطِئ؛ لأنَّ تخصِيصَ العَمْدِ بِوُجوبِ الجزاءِ بِه يَدُلُّ على نَفْي وُجوبِ الجزاء في قَتْلِ الصَّيدِ خَطأً.

وكالمشتَقِّ في قولِه تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ (الحجرات: ٦).

فمَفهُومُ التَّعْبِير بِـ" فاسِق " أنَّ غيرَ الفاسِقِ لا يجِب التَّثَبُّت في خَبَرِهِ، ومعنى هذا أنَّه يجِب قَبولُ خَبَرِ الواحِد العَدْلِ.

الأسئِلَة:

1- عرِّف المنْطوقَ، واذْكُر أقسامَه, مع التَّمثِيل.
2- عَرِّف المفهومَ، واذكُر أقسامَه, وتَعرِيفَ كلِّ قِسْمٍ.
3- ما المراد بِفَحْوى الخطاب ؟، ولحن الخطاب ؟، مع التَّوضِيحِ بِالأمثِلَة.
4- أُذكُر أنواعَ مَفهومِ المخالَفَةِ, مع التَّمثِيلِ لِكُلِّ نَوْعٍ بمثالٍ.

الباب الثّالث عَشَر: إعْجاز القُرآنِ الكَرِيم

إعْجازُ القُرآنِ الكَرِيم

القُرآن الكريمُ هو المعجِزَة التي أظهَرها اللهُ على يَدِ محمَّد بن عبد الله ﷺ، وتحدَّى النّاسَ أن يَأْتُوا بمثله فَعَجزوا.

فَالمُعْجِزَة: أَمْرٌ خارِقٌ لِلعادَةِ مَقْرُونٌ بِالتَّحَدِّي سالِمٌ عن المعارَضَةِ.

والتَّحَدِّي بِالقُرآنِ تَكَرَّر عِدَّةَ مَرّات:

فتحَدّاهُم مَرَّة بأن يأتوا بمثلِ هذا القُرآن، فقال سبحانه:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

وتحدّاهم مَرَّةً أن يأتُوا بمثلِ عَشْرِ سُوَرٍ منه، فقال سبحانَه:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ (هود: 13 – 14).

وتحدّاهم أن يَأتُوا بمثلِ سُورَةٍ منه، فقال سبحانه:﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (الطور 33 – 34).

ومع هذا كلّه فقد عَجَزوا عن الإتيانِ بِشَيْءٍ مِن هذا.

وُجُوه الإعجازِ في القُرآنِ الكَرِيم:

وقد ذَكَر العُلماء وُجوهاً كَثِيرَةً للإعجازِ في القُرآنِ الكَريم، نَذْكُر مِنها:

مِن وُجوهِ الإعْجازِ في القُرآنِ الكَرِيم:

لُغَتُه وأُسْلُوبُه:

فقد جاءَ القُرآن على أُسلوبٍ اشْتَمَل على خَصائِصَ عُلْيا استَوْلَت على ألبابِ الفُصَحاء وأهلِ البَلاغَة، وأعجَز أساطِينَهم وأَعْيا أَلْسِنَتَهم، فاسْتَولى مِنهم على العُقولِ، وهَيْمَن على القُلوبِ، فأَبْدَعَت الأَلْسُن في وَصْفِهِ، وسالَت الأَقْلامُ في نَعْتِه، وعَجَزَت عن الإتْيانِ بمثلِهِ, كِتابٌ مَلَكَ البَلاغَة بِألوانها، وحازَ الفَصاحَة بِأركانِها، وجاءَهم بما لا قِبَلَ لهم بِرَدِّه، ولا قُدْرَةَ لهم في دَفْعِه، كِتابٌ لم يَأْخُذ مِن اللُّغَة صَنْعَتَها ومن الأُسلوبِ جمالَه، ومِن الفَصاحَة رَوْنَقَها، ومِن البَلاغَةِ سُمُوَّها فحَسْب؛ بل أخَذَ مع هذا كُلِّه مِن المعاني أسماها، ومِن المقاصِد أعلاها.

ومِن وُجوهِ الإعجازِ في القُرآن الكَرِيم:

عُلُومُه ومَعارِفُه:

وهو ما يسمَّى بـ: ((الإعجاز العِلمِيّ في القُرآن الكريم))، وبيانُ ذلك: أنَّ القُرآنَ أُنزِلَ قَبْلَ أربعَةَ عَشَر قرناً مِن الزَّمَن، وعَرَضَ لِكَثِيرٍ مِن مَظاهِر هذا الوُجود الكَونِيَّة، كخَلْقِ السَّموات والأرض، وخَلْقِ الإنسان والجنّ، وسَوْقِ السَّحابِ وتَراكُمِهِ، ونُزولِ المطَرِ، وجَريانِ الشَّمسِ والقَمَرِ، وتحدَّث عن الكَواكِب والنُّجوم والشُّهُبِ والصُّعودِ في السَّماءِ، وعن أطوارِ الجنينِ، وعن النَّبات والبِحارِ والجبالِ وما تحت الثَّرى، وعرض لِمعارِفَ شَتّى، وعلومٍ مُتَعَدِّدَة، ومع هذا كلِّه لم يُسْقِط العِلْمُ كَلِمَةً مِن كَلِماتِه، ولم يُصادِم جُزْئِيَّةً مِن جُزئِيّاتِهِ؛ بل ما زال العِلْم يَكشِف لنا كُلَّ يَوْمٍ وَجْهاً مِن وُجوهِ الإعجازِ في القرآن الكريم، ممّا بَوَّأَ القُرآنَ مكانَةً لم يُشاركه فيها كِتابٌ مِن قَبْلِه ولا مِن بَعْدِه، فما مِن كِتابٍ مِن كُتُبِ البَشَرِ، عَرَضَ لِمِثْل ما عَرَضَ له القُرآن الكريم إلّا وكَشَف الزَّمَن زَيْفَه وأَبْطَلَت الحقائِق العِلمِيَّة الثّابِتَةَ خَطَأَ نَظَرِيَّتِه حاشا القُرآن الكريم، فما زالَت ولن تَزال آياتُه عالِيَةً، ولا يُطاوِلها شَيْءٌ مِن ذلك، لا لِشَيْءٍ إلا لأنَّها كَلامُ مَن وَسِعَ كلَّ شَيْءٍ عِلْماً.

ومِن وُجوهِ الإعجازِ في القُرآنِ الكريم:

تَشْرِيعُه:

وهو ما يسمَّى بـ:((الإعجازُ التَّشريعِيّ في القُرآن الكَريم))، فقد نَزَلَ القُرآنُ في أُمَّة مُفَكَّكَةِ تحلَّلت عُراها، وسادَها الجهلُ والظَّلامُ، فنَزَل القُرآنُ الكَرِيم عليهِم فانتَشَلَهُم في سَنَواتٍ مَعدودَةٍ مِن رُكامِ الجاهِلِيَّة وظُلماتها إلى شموخِ الإسلامِ وعِزَّته، فالنِّظام التَّشرِيعِيّ المحكَم الذي جاء به القُرآنُ أدهَشَ أساطِينَ الفِقْهِ والقانُون إلى يَومِنا هذا، وعَقُدِت لأجلِه المؤتمرات الفِقهِيَّة، والنَّدوات المتَعَدِّدة، والمؤلَّفات.

وسلَك القُرآن منهَجاً فَريداً لِعِلاجِ المجتَمَع الجاهِلِيّ وتحويلِه إلى مجتَمَعٍ إسلامِيٍّ؛ فحوَّله مِن مجتَمَع مُشْرِكٍ بِكُلّ رَزاياه إلى مجتَمَعٍ مُسلِم بِكُلِّ مَزاياه.

ولا تزالُ الأُمَم الغَربِيَّة إلى يومِنا هذا تَرْزَح تحت نير الجاهِلِيَّة جَرَّبَت كُلَّ الأنظِمَة والتَّشرِيعات، ولن تجد غيرَ التَّشرِيع القُرآنيِّ عِلاجاً لها.

الأسئِلَة:

1- ما هي المعجِزَة الكُبرى لِلرَّسولِ ﷺ ؟
2- عَرِّف المعجِزَة.
3- مَرَّ التَّحدِّي بالقرآنِ بمراحِل, اذكُرها مع الاستِدلال.
4- ذَكر العُلماء وُجوهاً كثِيرَة للإعجازِ في القُرآن الكريم، اذكر ما تَعرِف منها.
5- تحدَّث عن الإعجازِ اللُّغويِّ في القرآن الكريم.
6- مِن وُجوهِ الإعجاز في القُرآن الكريم الإعجاز العِلمِيّ, تحدَّث عن ذلك، واذكُر ما تَعْرِف مِن أمثِلَة.
7- الإعجازُ التَّشرِيعِيّ وَجْهٌ مِن وُجوهِ الإعجازِ في القرآن الكَريم، تحدَّث عن ذلك.

الباب الرّابع عَشَر: قَصَص القُرآنِ الكَرِيم

قَصَصُ القُرآنِ الكَرِيم

القصصُ لُغَةً: تَتَبُّع الأَثَرِ، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ (الكهف: ٦٤).

أي: يَتَتَبَّعانِ أثَرَهُما، وقال سبحانَه على لِسانِ أُمِّ موسى عليهما السَّلام: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ (القصص: ١١)، أي: تَتَبَّعِي أَثَرَه.

وَقَصَص القرآنِ: إخبارُه عن الأُمَمِ الماضِيَة والأنبِياء السّابِقِينَ.

أنواعُ القَصَصِ في القُرآنِ الكَرِيم:

النَّوع الأَوَّل:

قَصَصُ الأنبِياء عليهم السَّلام وما جرى لهم مع أقوامِهِم، والمعجِزات التي أيَّدَهُم اللهُ بها، وما جرى لأُمَمِهِم مِن عَذابٍ أو عِقابٍ، ويشمَل ذلك ما يَتْبَع قِصَّةَ النَّبيِّ، كقِصَّة إبلِيس، وقِصَّة قابِيلَ وهابِيلَ، التّابِعَتَيْن لِقِصَّة آدَمَ عليه السَّلام، وكَقِصَّةِ فِرْعَونَ، وقِصَّةِ العِجْلِ، وقِصَّةِ البَقَرَة، وقِصَّةِ الخضر، وقِصَّةِ قارون التَّابِعَة لِقِصَّةِ موسى عليه السَّلام، ونحو ذلك.

النَّوع الثّانِي:

قَصَص غيرِ الأنبياءِ، كقِصَّةِ أصحابِ الكَهْفِ، والذين خَرَجُوا مِن دِيارِهِم وهم أُلوفٌ حَذَرَ الموتِ، وذِي القَرْنَين، وطالُوتَ وجالُوتَ، وأصحابِ الفِيلِ، ونحوِ ذلك.

الحِكْمَة مِن تكرارِ القَصَصِ في القُرآن:

جاءَت بعضُ القَصَصِ في القُرآن الكريم مُكَرَّرَةً في أكثَر مِن مَوْضِعٍ، ولهذا حِكَمٌ كَثِيرَةٌ، منها:

1- الاهتِمامُ بِالقِصَّة والجانِب المكَرَّرِ منها؛ لأنَّ التّكرارَ مِن أساليبِ التَّأكِيد.
2- استِيفاءُ جَوانِبَ مِن القِصَّة لم تُسْتَوْفَ في الموضِعِ الآخَرِ.
3- قُوَّةُ الإعجازِ؛ فتكرارُ القِصَّةِ بِأساليبَ مختَلِفَة كُلّها في أعلى دَرَجاتِ البَلاغَة يُؤَكِّد إعجازَ القرآنِ، ويَزيده قُوَّةً إلى قُوَّتِه.

الفَرق بين قَصَصِ القُرآنِ وقَصَص غيرِ القُرآنِ:

يختَلِف عَرْضُ القِصَّةِ في القُرآنِ عن القَصَصِ الأُخرى الأَدَبِيَّة في أُمورٍ، منها:

1- أنَّ القُرآنَ يَتَخَيَّر مِن جَوانِبِ القِصَّة ما فيه العِظَةُ والعِبْرَةُ، مُعرِضاً عمّا لا فائِدَة في ذِكْرِه.
2- أنَّ القُرآنَ لا يَعني بِالسَّرْدِ التّاريخي وتَرتيبِ الأحداثِ قَدْرَ عِنايَتِهِ بِالهدَفِ مِن إيرادِها.
3- أنَّ القُرآنَ يُبْرِزُ الهدَفَ عَقِبَ القِصَّةِ، ويأمُر أولي الألبابِ بِالتَّدَبُّرِ والتَّفَكُّرِ في أحداثِ القِصَّةِ.

فَوائِد القَصَصِ في القُرآنِ الكَرِيمِ:

لإيرادِ القِصَّة في القرآنِ الكريم فَوائِدُ كَثِيرَةٌ، منها:

1- أنها مِن معجزاتِ الرَّسولِ ﷺ، ودَلِيلٌ على صِدْقِه وصِحَّةِ رِسالَتِه. فهذِه القَصَصُ مِن أخبارِ الغَيْبِ التي لم يَطَّلِع عليها الرَّسولُ ﷺ؛ لأنَّه أُمِّيٌّ لم يَقرَأ كُتُبَ السّابِقِينَ، ولم يَتَلَق ذلك عن أهلِ الكِتابِ، فدَلَّ على أنَّه تَلَقَّى ذلك عن رَبِّه جلَّ وعلا، قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤).
وقال:﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٢).
2- بَيانُ اتِّفاقِ الأنبياء في أُصولِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى، وأنَّ الرَّسولَ ﷺ إنما يَدْعُو إلى ما دَعا إليه الأنبياء مِن قَبْلِه، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).
3- تَثْبِيتُ فُؤادِ الرَّسولِ ﷺ وتجدِيدُ عَزْمِه لِلمُضِيّ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ، وأنَّ ما جَرى له قد جَرى لِلأُمَمِ الماضِيَّة، وأنَّ عليه أن يَصْبِرَ كما صَبَروا، قال تعالى:﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (هود: ١٢٠).
4- أَخْذُ العِظَةِ والعِبْرَةِ مِن الأُمَمِ السّابِقَة وما جَرَّهُ عليهِم التَّكذِيبُ بِالحقِّ مِن عذابٍ وهَلاكٍ؛ فالسَّعِيد مَن اتَّعَظَ بِغَيرِه، قال تعالى:﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

الأسئِلَة:

1- عَرِّف القِصَّةَ لُغَةً، واصْطِلاحاً.
2- اذكُر أنواعَ القِصَّةِ في القُرآنِ الكَريمِ.
3- ما الحكمَةُ مِن تكرارِ القِصَّةِ في القرآن الكريم ؟
4- هناك فُروقٌ بين القِصَّة في القرآن الكريم والقِصَّة في غيرِهِ, اذكر ما تَعْرِف منها.
5- عَدِّد فَوائِد القِصَّة في القُرآنِ، مع التَّوضِيحِ والاسْتِدلالِ.

الباب الخامِس عَشَر: أَمْثالُ القُرآنِ الكَرِيمِ

الأمثالُ في القُرآنِ الكَرِيم وأَنْواعُها

الأمثالُ: جمع مَثَل، والمثَلُ في الأصلِ المِثْل، أي: النَّظِيرُ.

والمثَل في القُرآن الكريم: هو تمثِيلُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ في حُكْمِه، وتَقْرِيبُ المعقُولِ مِن المحسُوسِ.

أنواعُ الأمثالِ في القُرآن الكريم:

تَنْقَسِم الأمثالُ في القرآن الكَريم إلى ثَلاثَةِ أنواعٍ:

النَّوع الأوَّل:

أمثالٌ مُصَرَّح فيها بِذِكْر المثَل أو ما يَدُلُّ على التَّشبِيه، كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ (البقرة: ١٧).

النَّوع الثّاني:

الأمثالُ الكامِنَة التي لم يُصَرَّح فيها بِذِكْر المثَلِ؛ بل هو كامِنٌ مَطْوِيٌّ، وهي تَدلُّ على مَعانٍ بَلِيغَةٍ بألفاظٍ مُوجَزَةٍ حتى صارَت كالقَوْلِ السّائر بين النّاس، وهي آيات كثِيرَة يذكرون مِنها: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٧).

فهِي تُشْبِه قولهم:" خَيْرُ الأُمورِ أَوساطُها ".

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ (يونس: ٣٩).

فهِي تُشْبِه قولهم:" مَن جَهِل شَيْئاً عاداه ".

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (التوبة: ٧٤).

فهو يُشْبِه قولهم:" اتَّقِ شَرَّ مَن أحسَنْتَ إليه ". وغير ذلك.

النَّوع الثّالث:

جُمَلٌ مِن القُرآنِ الكَرِيم جَرَت مجرَى الأمثالِ, كقولِه تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ (يوسف: 51).

وقولِه سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾ (يس: 78).

وقولِه عزَّ شَأنُه: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (سبأ: 54).

وكقولِه عزَّ وجلَّ:﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ (التوبة: 91).

وكقولِه سبحانَه:﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: 216).

وكقولِه سبحانَه:﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾، وغيرِ ذلك.

واختَلَفَ العُلماءُ في استِعمالِ النَّوعِ الثّالِث، كاستِعمالِ الأمْثالِ وضَربِها مَثلاً في الأحداثِ، فَكَرِهَه بعضهم، ورأى بعضُهم أن لا حَرَجَ في ذلك إذا كان في مَقامِ الجِدِّ، واتَّفقوا على تحريمِه في مَقامِ الهزلِ والمزاح؛ صِيانَةً لآياتِ القُرآنِ الكَريم عن الابْتِذالِ.

فَوائِد الأمثالِ في القُرآنِ الكَرِيم:

1- تَصْوِيرُ المعنى المرادِ بِصُورَةِ المحسوسِ؛ لِتَقْرِيبِه إلى الذِّهْن وفَهْمِ المرادِ، كتَمْثِيل الذي يُنْفِق مالَه رياءً فلا يكون له أيّ أَجْر بِقَوْلِه تعالى:﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

2- التَّرغِيب في فِعْلِ الخيرِ، وذلك بِتَشْبِيه عاقِبَة ذلك بما هو مُحَبَّبٌ إلى النَّفسِ ومَرغُوبٌ فيه، كضَرْبِ المثَلِ لمن يُنْفِق مالَه في سَبِيلِ اللهِ بحبَّةٍ أنبَتَت سَبْعَ سَنابِل ... إلخ، قال تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

3- التَّنْفِير مِن المعاصِي، وذلك بِتَمثِيل فِعْلِها بما تَنْفُر منه النُّفوسُ كَتَمْثِيل الغِيبَة بِأَكْلِ لحمِ الميِّت، قال تعالى:﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (الحجرات: ١٢).

الأسئِلَة:

1- عرِّف المثَل لُغَةً, وما المراد بِالمثَلِ في القرآن الكريم ؟.

2- إلى كَم قِسْمٍ تَنْقَسِم الأمثالُ في القرآن ؟، وما هي ؟، مع ذِكْر مِثالٍ لِكُلِّ نَوْعٍ.

3- ما حُكْمُ استِعمالِ النَّوعِ الثّالث مِن الأمثالِ في القُرآنِ ؟

4- أُذكر ما تعرِف مِن فَوائِد الأمثالِ في القُرآنِ, مع التَّمثِيل.

الباب السّادس عَشَر: رَسْمُ المُصْحَفِ

المُراد بِرَسْمِ المُصْحَفِ

يُراد بِه: الطَّرِيقَة التي كُتِبَت بها كَلِماتُ القُرآنِ الكَريم وحُرُوفُه في عَهْدِ عُثْمانَ ﷺ.

والأَصْل في الكِتابَة أن يُوافِقَ المكتوبُ المنطوقَ تمامَ الموافَقَة مِن غَيْرِ زِيادَةٍ ولا نَقْصٍ، ولا تَبْدِيلٍ ولا تغيير، لكنَّ كِتابَة القُرآنِ في عَهْدِ عثمانَ بن عفان ﷺ أُهمِلَ فيها هذا الأَصْلُ، فجاءَت كثِيرٌ مِن الكَلِمات وقد خالف رسمُها نُطْقَها، وذلك لحكَمٍ عَدِيدَةٍ.

حِكَم رَسْمِ المُصْحَفِ:

1- قالَت طائِفَةٌ مِن العلماء إنَّ رَسْمَ المصحَفِ تَوقِيفِيٌّ يجِب الأَخْذُ بِه، وتحرُم مخالَفَتُه، وقد نقلَ ابن المبارَك عن شَيْخِه عبد العزيز الدّبّاغ أنَّه قال:" ما لِلصَّحابَة ولا لِغيرِهِم في رَسْم القُرآنِ ولا شَعْرة واحِدَة، وإنما هو تَوقِيفٌ مِن النَّبيِّ ﷺ، وهو الذي أَمَرَهُم أن يَكتُبوه على الهيئَة المعروفة بزِيادَةِ الألف ونقصانها لأسرارٍ لا تهتدي إليها العُقول، وهو سِرٌّ مِن الأسرار خَصَّ اللهُ به كِتابَه العَزِيز دون سائِرِ الكُتب السَّماوِيَّة، وكما أنَّ نَظْمَ القُرآنِ مُعْجِزٌ فرَسْمُه أيضاً مُعْجِز ".

2- وقالت طائِفَة إنَّ رَسْمَ المصحَفِ ليس بِتَوقِيفِيٍّ؛ بل اصْطِلاحِيٌّ ارتَضاه عُثمان ﷺ وتَلَقَّتْه الأُمَّة بالقبول فيَجِب التِزامُه وتحرُم مخالَفَتُه، وقد سُئِل الإمام مالك رحمه الله تعالى: هل يُكْتَب المصحَف على ما أحدثه النّاس في الهجاء، فقال:" لا، إلّا على الكَتْبَة الأولى "، وقال الإمام أحمد:" تحرُم مخالَفَة خَطّ مُصحَفِ عُثمان في واوٍ أو ياءٍ، أو غيرِ ذلك ".

قَواعِد رَسْمِ المُصْحَف

الأوَّل: القِياسِيّ: وهو ما تُوافِقُ الكِتابَةُ فيه النُّطْقَ، نحو قوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١).

وهذا النَّوع أيضاً مُوافِقٌ لِلرَّسم الإملائِيِّ الذي نَكْتُب بِه غَيرَ القُرآنِ.

الثّاني: الاصْطِلاحِيّ: وهو ما تخالِف الكِتابَة فيه النُّطْقَ، وهو اصْطِلاحٌ في الغالِبِ خاصٌّ بِكتابَةِ القرآن الكريم، وله خَمسُ قَواعِد:

1- قاعِدَة الحذْفِ.
2- قاعِدَة الزِّيادَة.
3- قاعِدَة البَدَل.
4- قاعِدَة الفَصْل والوَصْل.
5- قاعِدَة الهمْز.

1- قاعِدَة الحَذْف:

وهي أنَّ الألِف تحذَف بعد ياء النِّداء نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، وهاء التَّنبيه نحو: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾، ولفظ الجلالَة (الله)، ومِن لفظِ ((الرَّحمن))، و ((سبحن))، و ﴿إِسْحَٰقَ﴾، ﴿وَهَٰرُونَ﴾، وغير ذلك، ويُوضَع مَوضِعها أَلِف صَغِيرَة لِلدَّلالَة عليها, وتحذَف الياءُ مِن كلِّ مَنقُوصٍ مُنَوَّنٍ رَفْعاً أو جَرّاً نحو: ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾، ومن بعض الكَلِمات نحو: ((أَطِيعُون))، و((اتَّقون))، ((خافون))، و((ارهبون))، و((فأرسلون))، إلّا ما اسْتُثْنِي, وتحذَف الواو إذا وقَعَت مع واوٍ أخرى، نحو: ((لا يَسْتَون))، و((فأوا))، وفي نحو:﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ (في الإسراء: 11)، و﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ (العلق: 18).
وتحذَف اللّام إذا أُدْغِمَت في مِثْلِها نحو: ((اليل))، ((الذي)) إلّا ما اسْتُثْنِي.

2- قاعِدَة الزِّيادَة:

وهي أنَّ الألِف تُزاد بعد الواوِ في آخِر كلِّ اسْمٍ مجموعٍ أو في حُكْمِ المجموعِ نحو: ﴿ مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ ، ﴿ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، و ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، وبعد الهمزَةِ المرسومَةِ واواً نحو: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ ﴾ وفي كلمات مثل ((مائة))، و ((ٱلظُّنُونَا))، و ((ٱلرَّسُولَا))،

و ((ٱلسَّبِيلَاْ))، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَاْ ﴾ (الأحزاب: 10)، ﴿ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَاْ ﴾ (الأحزاب: 66)، ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَاْ ﴾ (الأحزاب: 67)، وفي ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ (الكهف: 23)، وفي ((لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ)) في قوله: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ في (النَّمل:21), وفي ((جايء)) وفي قوله: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ في (الزمر: 69).

وتُزاد الياء في كَلِماتٍ نحو: ((نَّبَإِاْىْ)) في قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِاْىْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأنعام: 34)، وفي ((تِلْقَآيِ)) في قوله تعالى في يونس: ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ﴾ (يونس: 15)، وفي ((بِأَيْيْدٍ)) في قوله تعالى في (الذاريات: 47): ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾، وفي ((وَرَآيٍ)) من قوله تعالى في الشورى ﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾.

وتُزاد الواو في ((سَأُوْرِيكُمْ)) في قوله تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾، وفي ((أُوْلُواْ)) في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، ولا تُقْرَأ الألِف الزّائِدَة ولا الواو الزّائِدَة ولا الياء الزّائدة.

3- قاعِدَة البَدَلِ:

وهي أنَّ الألِفَ تُكْتَب واواً في مِثْل: ((ٱلصَّلَوٰةَ))، و ((ٱلزَّكَوٰةَ)) في قوله تعالى: ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البينة: 5).

وتُكتَب الألِف ياءً إذا كان أصلُها ياءً نحو: ((يَتَوفَّكم))، ونحو ((يا حَسْرَتى))، ونحو ((يا أَسَفى))، وتُرْسَم الألِف ياء في هذه الكَلِمات: ((إلى ، على ، أنى ، متى ، بلى ، حتى ، لدى)) ماعدا ﴿ لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ فإنها تُرْسَم بِالألِف.

وتُكتَب نُون التَّوكِيد الخفِيفَة ألِفاً في كلمة ((إذاً)).

وتُكتَب هاء التَّأنِيث مَفتُوحَةً في كَلِماتٍ نحو ((رَحْمت)) بالبقرة، والأعراف، وهود، ومريم، والروم، والزُّخرف، وفي كلمة ((مَعْصِيَت)) في قد سمع، وفي آيات نحو: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾، و﴿ قُرَّتُ

عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾، و﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾، و﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ﴾، وفي ﴿ ٱمْرَأَتُ عِمْرَنَ ﴾، وفي ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾، وغير ذلك.

4- قاعِدَة الفَصْلِ والوَصْلِ:

فَكَلِمَة ((أنْ)) بِفَتْح الهمزة تُوصَل بِكَلِمَة ((لا)) إذا وَقَعَت بعدَها، إلّا في مَواضِع، وكَلِمَة ((مِن)) تُوصَل بِكَلِمَة ((ما)) إذا وَقَعَت بعدَها، إلّا في ثَلاثَةِ مَواضِعَ فَتُفْصَل ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم ﴾ في النِّساء والرُّوم، و﴿ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ في المنافقون, وتوصَل كَلِمَة ((عن)) بِكَلِمَة ((ما))، إلّا في قولِه تعالى: ﴿ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ فَتُفْصَل، وتُوصَل كَلِمَة ((إنْ)) بِكَسْر الهمزَةِ بِكَلِمَة ((ما)) إذا وقعَت بعدَها، إلّا في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ فتُفْصَل وتُوصَل كَلِمَة ((أنْ)) بِفَتْح الهمزَة بِكَلِمَة ((ما)) مُطْلَقاً، وكذا كَلِمَة ((كل)) تُوصَل بـ ((ما))، إلّا في قوله سبحانه: ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ ﴾، وفي ﴿ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ فَتُفْصَل، وتُوصَل كَلِمات: ((نِعِمّا ، رُبَّما ، وكأنَّما ، وَيْكأن))، ونحوها.

5- قاعِدَة الهَمْز:

وهي أنَّ الهمزَة لا تخلو: إمّا أن تكونَ ساكِنَةً أو مُتَحَرِّكَةً، فإن كانت ساكِنَةً تُكتَب بحرفِ حَرَكَةِ ما قبلَها، فإن كان مَكسوراً رُسِمت ياءً، نحو: ((إئذَن))، وإن كان مَرفوعاً كتِبَت واواً، نحو: ((أُؤتمن))، وإن كان مَفتُوحاً كُتِبَت ألِفاً، نحو: ((البأساء))، إلّا ما استُثْنِي, وإن كانت الهمزة مُتَحَرِّكَة فلها ثَلاث حالات:

1- إن كانت أوَّل الكَلِمَة كُتِبَت بِالألِف مُطلَقاً، نحو: ((أيّوب))، ((أولو))، ((إذا))، إلّا ما استثني.
2- وإن كانت وَسطَ الكَلِمَة كُتِبَت بحرْفٍ مِن جِنْسِ حَرَكَتِها، فإن كانَت مَفْتُوحَةً كُتِبَت ألِفاً، نحو ((سَأَل))، وإن كانت مَكسُورَةً كُتِبَت ياء، نحو ((سُئِلَ))، وإن كانت مَرفوعَةً كُتِبَت واواً، نحو ((تقرؤه))، إلّا ما استُثْنِي.
3- وإن كانت آخِرَ الكَلِمَة كتِبَت بحرفٍ مِن جِنْسِ حَرَكَة ما قبلَها؛ فإن كان مَفتوحاً كُتِبَت ألِفاً، نحو ((سَبَأ))، وإن كان مَكسوراً كُتِبَت ياءً، نحو ((شاطِىء))، وإن كان ما قبلها

مَرفوعاً كُتِبَت واواً، نحو ((لْؤلُؤ))، إلّا ما استثني، فإن كان ما قَبْلَها ساكِناً حُذِفَت، نحو ((مِلْء الأرض))، ((يخرِج الخبْء))، إلّا ما استثني.

مَزايا الرَّسْمُ العُثْمانِي:

ورَسْم المصحَفِ له أسرارٌ عَدِيدَةٌ وحِكَم كَثِيرَةٌ وفَوائِدُ جمَّة أَدْرَك العُلماء بعضَها، فَمِن ذلك:

أوَّلاً: الدّلالَة بِرَسْمٍ واحِدٍ لِلكَلِمَة على أَكْثَر مِن قِراءَة، فقد كُتِبَت بعضُ الكَلِمات التي فيها أكثَر من قِراءَة على وَجْهٍ يحتَمِل قِراءَتَيْن أو أَكْثَر.

ثانياً: الدّلالَة على أَصْلِ الحركَةِ، مثل: كِتابَة الكَسْرَةِ ياءً في قولِه سبحانه: ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، وكِتابَة الضَّمَّة واواً في قولِه سبحانَه: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

ثالثاً: حَمْلُ النّاسِ على أن يَتَلَقَّوا القُرآنَ مِن صُدورِ ثِقاتِ الرِّجالِ، ولا يَتَّكِلوا على القِراءَة مِن المصحف، وفي هذا فائِدَتان:

الأُولى: التَّوثِيق مِن صِحَّةِ التِّلاوَةِ وطَرِيقَة الأداءِ وحُسْنِ التَّرتيلِ والتَّجوِيدِ؛ فإنَّ هذا لا يَتَحَقَّق بمجرد القِراءَة مِن المصحَفِ دون مُعَلِّم، ولهذا قَرَّر العُلماء أنَّه لا يجوزُ الاعتِماد على المصاحِف وحدَها؛ بل لا بُدَّ من الأَخْذِ عن حافِظٍ ثِقَةٍ.

الثّانِيَة: اتِّصال السَّنَد بِرسولِ ﷺ، فالقارِئ يحفَظَ القُرآنَ مِن فَمِ شَيْخِه، والشَّيخ عن شَيْخِه وهكذا إلى أن يَتَّصِل السَّنَدُ بِرسولِ اللهِ ﷺ، وبهذا يكون سَنَد القُرآنِ في كلِّ عَصْر مُتَّصِلٍ بِرَسولِ اللهِ عليه الصَّلاة والسَّلام، وليس هذا لكتابٍ غير القُرآن الكريم، فقد شَرَّفَ اللهُ هذه الأُمَّةِ باتِّصالِ سَنَدِها بَرِسولِ الله ﷺ، ولو لم يَكُن لِلرَّسم العُثمانيِّ إلّا هذه الفائِدَة بمزيَّتَيْها لَكَفَى بِه فَضْلاً ومَكانَةً.

الأسئِلَة:

1- ما المراد بِرَسْم المصحَف ؟، وما الأصلُ في الكِتابَة ؟، وهل جَرى رَسْم المصحَف على الأصل في الكتابَة أم لا ؟، ولماذا ؟
2- ما حُكْم الالتِزام بِرَسْم المصحَف ؟ مع ذِكْرِ أقوالِ العُلماءِ في ذلك.
3- ينقَسِم رَسْمُ المصحَف إلى قِسْمَين، فما هما ؟
4- اذكُر قَواعِد الرَّسم الاصطِلاحِيّ لِلمُصحَفِ والمعروف بِالرَّسم العُثْمانيّ.

5- اذكُر قاعِدَة الرَّسم في الأمثِلَة التّالية مع التَّوضِيح:

1- يتلو صحفاً 2 - لأذبحنَّه

3- وثمود فما أبقى 4- إنا أعتدنا للكافرين سلاسِلاً

5 – أولئك 6 - أولوا العلم

7 - من نبإى المرسلين 8 - بنينها بأييد

9 - وتظنُّون بالله الظُّنونا 10 - كانت قَوارير قَوارِير مِن فضَّة.

11 - وجوه يومئذ ناعمة 12 - ذلك الكتب

13 - يلوُن ألسنتهم 14 - يحيي ويميت

15 – الرِّبوا 16 - إلى الحواريِّن

17 – كمِشكَوه 18 - أنت وَليِّ في الدُّنيا

19 – التَّوريه 20 - أعطيناك

21 - إن شانِئك هو الأبتر 22 - يخافون ربهم مِن فَوْقِهم ويفعلون ما يؤمرون

23 - بسم الله مجريها 24 - هو الذي بعث في الأمِّيّين رسولاً منهم

- ويمحُ اللهُ الباطِل 26 - النَّجوة

27 – بالغدوة 28 - وقالت امرأت فرعون قُرَّت عين لى ولك

29 - فِطْرَت اللهِ التي فَطَرَ النّاسَ عليها 30 - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا

31 - يأيها المزَّمِّل 32 - ولا تقولَن لشاىء أنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله

33 - سأوريكم آيتى فلا تستعجلون 34 - ولقد جاءك من نباءى المرسلين

35 - من وراء حجاب

6- يمكن التَّطبيق بأن يفتَح الطّالِبُ المصحَفَ ثم يستَخرِج ما في الصَّفحَة مِن قَواعِد الرَّسم.

الباب السّابِع عَشَر

المبحث الأوّل: التَّفسِير والتَّأوِيل

التَّفْسِير والتَّأوِيل

التَّفْسِير لُغَةً: مِن (الفَسْر) وهو: الإبانَة والكَشْف والإظهارُ.

وفي الاصْطِلاح: عِلْمٌ يُفْهَم بِه كِتابُ اللهِ تعالى المنَزَّل على نَبِيِّه محمَّد ﷺ وبَيان مَعانِيه، واستِخراج حِكَمِهِ وأحْكامِه.

والتَّأويل في اللُّغَة: مِن (الأَوْل) وهو: الرُّجوع إلى الأَصْل.

وفي **الاصطِلاح:** قِيل: إنَّه مُرادِفٌ لِلتَّفسِير، كقول مجاهِد:" إنَّ العُلَماءَ يَعْلَمونَ تَأوِيلَه ". يعني: تفسِيرَه. وقولِ الطَّبرِي في تفسِيره:" القَوْلُ في تَأوُّلِ قَوْلِه تعالى كذا "، وقوله:" واختَلَف أهلُ التَّأوِيلِ في هذِه الآيَة "؛ فإنَّه يُرِيد بِالتَّأوِيل: التَّفسِير، وقِيل: إنَّ التَّأوِيلَ يختَلِف عن التَّفسِير، ولِلعُلَماء في الفَرْقِ بينَهُما أَقْوالٌ، مِنها:

1- أنَّ التَّفسِير ما جاء مُبيَّناً في الكِتابِ أو السُّنَّةِ، والتَّأوِيل ما اسْتَنْبَطَه العُلماءُ، وعلى هذا فالتَّفسِير ما يتعلَّق بالرِّوايَة، والتَّأوِيلُ ما يَتَعَلَّق بِالدِّرايَةِ.
2- أنَّ التَّفسِيرَ أكثَرُ ما يُستَعْمَل في الألفاظِ (المفردات)، والتَّأوِيل في المعاني والجمَلِ.

شُروطُ المُفَسِّر:

التَّفسِير مِن أَشْرَفِ العُلومِ وأفضَلِها؛ لأنَّه يتناوَل أشْرَفَ الكَلامِ وأفضَلَه، وشَرَفُ العلم مِن شَرَف المعلومِ.

ولأنَّ القرآنَ كَلامُ اللهِ، والتَّفسِير هو بَيانُ كَلامِ اللهِ وتَوضِيحُه، فالمفَسِّر يخبِر عن اللهِ تعالى، فلا يجوز لأحَدٍ أن يُفَسِّرَ القُرآنَ بغيرِ عِلْمٍ؛ بل وَرَدَ الوَعِيد على ذلك، قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء: ٣٦).

وقال ﷺ:" مَن قال في القُرآنِ بِرَأْيِه أو بما لا يَعْلَم فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَده مِن النّارِ "، ولهذا وَضَعَ العُلماءُ شروطاً لا بُدَّ مِن تَوافُرِها فيمَن يُفَسِّر القُرآنَ الكَرِيمَ، وتنقَسِم هذه الشُّروط إلى ثَلاثَةِ أنواعٍ:

أوّلاً: شُروطٌ دِينِيَّةٌ:

ومنها: سَلامَة العَقِيدَة مِن الاعتِقادات الباطِلَة والمذاهِب الزّائِفَة، فلا بُدَّ أن يكون المفسِّر مُسْلِماً.

ومنها: التَّجَرُّد مِن الهوى، فإنَّ الهوى يُؤَدِّي بِصاحِبِه إلى نُصْرَةِ مَذْهِبِهِ بالباطِلِ.

ومنها: أن يكونَ محافِظاً على أداءِ الواجِبات والفَرائِضِ، ومُلْتَزِماً بالأخلاقِ والآدابِ الإسلامِيَّة.

ثانياً: شُروطٌ عَقْلِيَّة:

ومنها: أن يكونَ قَوِيَ الاسْتِدلالِ، حَسَن الاسْتِنباطِ، وأن يكون دَقِيقَ الفَهْمِ، قادِراً على التَّرجِيحِ إذا تَعارَضَت الأَدِلَّة.

ثالثاً: شُروطٌ عِلْمِيَّةٌ:

وهي أن تكونَ عالِماً بِالحدِيث الشَّرِيف، واللُّغَة، والنَّحو، والصَّرف، والبَلاغَةِ، والقِراءات، وأصول الدِّين، وأُصولِ الفِقْهِ، وعُلومِ القُرآنِ كالنّاسِخ والمنسوخ، وأسبابِ النُّزولِ.

آدابُ المُفَسِّر:

وهناك آدابٌ ينبَغِي أن يَلْتَزِمَ بها المفَسِّر حتى لا يكونَ ممَّن يخالِف قَولُه فِعْلَه، ومِن هذه الآداب:

1- حُسْنُ النِّيَّةِ، بأن يكونَ عَمَلُه خالِصاً لِوَجْهِ اللهِ لا لِمَنْصِبٍ ولا لِجاهٍ.
2- حُسْن الأخلاقِ حتى يكونَ قُدْوَةً لِطُلّابِهِ وسامِعِيهِ.
3- الامتِثالُ والعَمَل لِما يَأْمُر بِه مِن أحكامِ القُرآنِ وآدابِهِ.
4- الصِّدْق والأمانَة.
5- الجهر بِالحقِّ.
6- الوَقارُ والابتِعاد عن سَفاسِف الأُمورِ.

الأسئِلَة:

1- عَرِّف التَّفسِيرَ لغةً واصطِلاحاً.
2- عَرِّف التَّأوِيلَ لغةً واصْطِلاحاً.
3- ما الفرق بين التَّفسِير والتَّأوِيل ؟
4- لماذا كان التَّفسِير مِن أشرَف العُلوم ؟
5- ما حُكْم القَوْلِ في القُرآنِ بغيرِ عِلْمٍ ؟ مع الدَّلِيل.
6- كم أقسامُ شُروطِ المفسِّر؟، وما هي ؟، مع ذِكْر بعضِ الشُّروط لِكُلِّ قِسْمٍ.

7- أُذكر بعضَ الآدابِ التي يَنْبَغِي أن يَلْتَزِم بها المفَسِّر.

المبحث الثّاني: نَشْأة عِلْمِ التَّفسِير

نَشْأة عِلْمِ التَّفسِير

نَزَل القُرآن الكَرِيم على الرَّسولِ ﷺ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء: 192 - 195).

وقد كان القَوْمُ الذين بُعِثَ فيهم محمَّد ﷺ عَرَباً خُلَّصاً يَفهَمُون القُرآنَ بمقتَضى السَّلِيقَة العَربِيَّة، فإنَّ أَشْكَلَت عليهِم كَلِمَةٌ أو غمض عليهم معنى سَألَ بَعْضُهم بَعْضاً، فإن وَجَدُوا الجوابَ وإلّا سألوا الرَّسولَ ﷺ فبَيَّنَه لهم قال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤).

وممّا سألَ الصَّحابَة عنه الرَّسولَ ﷺ معنى الظُّلم في قولِهِ تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

فقالوا: وأيُّنا لم يَظْلِم نَفْسَه يا رسولَ اللهِ، ففَسَّرَه النَّبيِّ ﷺ لهم بأنَّه الشِّرْك واستَدَلَّ بِقولِه تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣).

وكقِصَّة عَدِيّ بن حاتم ﷺ فحِين نَزَلَ قولُه تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ (البقرة: ١٨٧).

جَعل تحت وِسادَتِه عِقالَيْن: عِقالاً أَبْيَض وعِقالاً أَسْوَد، فأخبَرَه الرَّسولُ ﷺ بأنَّ المراد: سَواد اللَّيلِ، وبَياض النَّهارِ.

وهكذا كان تَفْسِير القُرآنِ في عَهْدِ الرَّسولِ ﷺ.

تَفْسِير القُرآنِ في عَهْدِ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم

لَمّا اتَّسعَت الفُتوحات الإسلامِيَّة وفُتِحَت البُلدان وأقبَل أهلُها يَتَعَلَّمون أُمورَ الدِّين لم يَكُن كَثِيرٌ منهم عرباً خُلَّصاً كالصَّحابَة؛ بل كانوا بحاجَةٍ إلى مَن يُبَيِّن لهم كَثِيراً مِن كَلِمات القُرآن ومَعانِيه, وقد بذَلَ الصَّحابَة رضي الله عنهم أَنْفُسَهم يُعلِّمونَ النّاسَ أُمورِ الدِّين ويُفَسِّرون لهم القُرآنَ، وقد كانوا:

1- يُفَسِّرون القُرآنَ بِالقُرآنِ؛ فإنَّ آياتِ القُرآنِ يُفَسِّر بعضُها بعضاً.
2- وبِأقْوالِ الرَّسولِ ﷺ كما مَرّ.
3- فإن لم يجِدوا التَّفسِير في القرآنِ ولا في السُّنَّةِ اجتَهَدوا في تَفسِيرِهِ، فهم شاهَدُوا التَّنزِيلَ وحَضروا الوَقائِع والأحْداثَ في عَهْدِ الرَّسولِ ﷺ وهم أعلَمُ مِن غيرهم بالتَّفسِير.

وقد اشتَهَر عَدَدٌ مِن الصَّحابَة بِالتَّفسِير منهم: الخلَفاء الأربَعة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأُبيُّ بن كَعْب، وعبد الله بن الزُّبَير، وعائِشة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين, وكان التَّفسِير في عَهْد الصَّحابَة عن طَرِيق الرِّوايَة، ولم يَكْتُب أَحَدٌ مِن الصَّحابَةِ رضي الله عنهم تَفسِيراً لِلقُرآنِ.

التَّفسِير في عَهْدِ التّابِعِينَ:

تَلَقَّى التّابِعون التَّفسِير عن الصَّحابَة رضي الله عنهم، وهُم أعلَم النّاس بِالتَّفسِير بعد الصَّحابَة رضي الله عنهم.

وقد اتَّسعَ بابُ التَّفسِير في عَهْدِهِم فأصبَحوا يُفَسِّرون كثيراً مِن الآياتِ التي لم يُفسِّرها الصَّحابة؛ لأنها كانت واضِحَةً لهم حِينذاك، ولَمّا دَخَل في الإسلامِ مَن لا يَعْرِف العَرَبِيَّة أصلاً ولا يُتْقِنُها احتاجَ النّاس إلى مَن يُفَسِّر لهم كَثِيراً مِن الآيات، فقامَ التّابِعون رحمهم الله تعالى بهذا، وفسَّروا ما احتاجَ النّاسُ إلى تفسِيرِهِ.

وقد اشتَهر عَدَدٌ مِن التّابِعِينَ بِالتَّفسِير، منهم: سعيد بن جُبَير، ومجاهِد بن جَبْر، وعِكْرِمة، وطاووس، وعَطاء بن أبي رباح، وزَيْد بن أَسْلَم، ومحمَّد بن كَعْب القُرَظِيّ، وعامِر الشَّعبيّ، والحسَن البَصرِيّ، وقَتادَة بن دعامَة السَّدوسِيّ، وغيرهم.

التَّفسِير بَعْدَ عَهْد التّابِعِين:

اتَّسَع بابُ التَّفسِير في هذا العَهْدِ حتى شَمَلَ القُرآنَ كلَّه، ولم يَكُن عن طَرِيقِ التَّلَقِّي فحَسْب؛ بل بَدَأ عَهْدُ التَّدوِين والكِتابَة لِلتَّفسِير، وكان ذلك في أواخِر القَرْنِ الأوَّل الهجرِيّ، وكان التَّفسِير حِينَذاك باباً مِن أبوابِ الحدِيث.

ثم استَقَلَّ التَّفسِير وأصبَح عَلَماً قائِماً بِنَفْسِه، ومِن مَزايا التَّفسِير في هذه المرحلة:

1- أنَّه مَروِيٌّ بالإسنادِ إلى الرَّسولِ ﷺ أو إلى الصَّحابة رضي الله عنهم أو إلى التّابعين رحمهم الله تعالى.

2- أنَّه شامِلٌ لِكُلِّ آياتِ القُرآنِ، ومُرَتَّبٌ حسَب تَرتيبِ المصحَفِ.

ومِن المؤلَّفاتِ في هذه المرحلَة: تفسِير ابن ماجَه، وتفسير ابن جرير الطَبرِيّ، وتفسير ابن أبي حاتم وغيرهم.

ثم قامَت طائِفَةٌ مِن العُلماءِ بالتَّأليف في التَّفسِير فاختَصروا الأسانيد، وأَوْرَدوا أَقْوالاً دون أن يَنسِبُوها إلى أصحابها فاختَلَطَت الأَقْوالُ الصَّحِيحَة بِالأقوالِ الضَّعِيفَة، ممّا يُسَهِّل على أصحابِ الأهواءِ الباطِلَة والمعتَقَداتِ الزّائِفَة الدُّخولِ في التَّفسِير وصاروا يُؤَوِّلونَ الكَلامَ على مَذاهِبِهم الفاسِدَة كالشِّيعَةِ والمعتَزِلَةِ وأصحابِ التَّصَوّفِ والفَلاسِفَةِ وغيرِهِم.

ثم صنَّف كلُّ مَن بَرَعَ في عِلْمٍ مِن العُلومِ تَفْسِيراً مَلأَهُ بِالعِلْمِ الذي بَرَعَ فيه، (فالنَّحوِيّ) مَثَلاً إذا ألَّفَ تَفسِيراً مَلأَه بِأَوْجُهِ الإعرابِ وقَواعِد النَّحْوِ ومَسائِلَه وفُروعه وخَلْفِياتِه، حتى كأنَّه كِتابُ نَحْوٍ مِثْل تَفسِير (البَحْر المحِيط) لأبي حَيّان، وهكذا (الفَقِيه) يَكاد يَسْرِد أَبْوابَ الفِقْه ويَتَوسَّع في فُروعِه التي لا صِلّة لها بالآيَة ويَردُّ على المخالِفِينَ ويَتَوسَّع في ذلك كالجصّاصِ والقُرْطُبِيّ، (والمؤَرِّخ) جَعَل همَّه استِيفاء القَصَصِ والأخْبارِ والأحْداث الصَّحِيح مِنها والباطِل كالثَّعلَبِيّ والخازِن.

التَّفسِير في العَصْرِ الحَدِيثِ:

بَعْدَ القَرْنِ العاشِر تَقْرِيباً فَتَرَت هِمَّة التَّأليفِ وخَمَدَت المؤَلَّفات في سائِر العُلومِ حتى أواخِر القَرْن الثالث عَشَر وأوائِل القَرْنِ الرّابِع عَشَر الهجرِيَيْن، حيث عَمَّت البِلاد الإسلامِيَّة حَرَكَة فِكْرِيَّة نَتِيجَة الحركات الإصلاحِيَّة حينَذاك، فاتَّجه العُلماءُ إلى العلومِ الإسلامِيَّة عامّة، وإلى التَّفسِير خاصَّة فصَدَرت ولا زالت إلى يَوْمِنا هذا المؤَلَّفات العَدِيدَة في التَّفسِير.

وقد سَلَك المفَسِّرون في هذا العَصْر مَسْلَكاً جَديداً بِالعِنايَةِ بحسْنِ العِبارَةِ وطَلاوَةِ الأُسلوبِ والتَّنظِيم والتَّرتيب، كما اعتَنى المفَسِّرون بجانِب الإصلاحِ الاجْتِماعِيّ وتَوجِيهِ النّاسِ إلى ما يَقَعون فيه مِن عاداتٍ وَتَقالِيدَ مخالِفَةٍ لأحكامِ القُرآن الكريم وتَوجِيهاتِه كالشَّيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمَّد رشيد رضا، والشَّيخ جمال الدِّين القاسِمِي، والشَّيخ محمَّد الأَمِين الشَّنقِيطِيّ، والشيخ عبد الرَّحمن بن سعدي وغيرهم رحمهم الله تعالى.

الأسئِلَة:

1- تحدَّث عن نَشْأَةِ التَّفسِير في عَهْدِ الرَّسولِ ﷺ، واذكُر ما تَعرِف مِن أمثِلَةٍ لِتَفسِيرِه ﷺ لِلْقُرآنِ.

2- لماذا اتَّسَع التَّفسِير في عَهْدِ الصَّحابَة رضي الله عنهم ؟، وما مَنهَجُهم في التَّفسِير ؟

3- أُذكر أَشْهَر المفَسِّرين مِن الصَّحابَة، وكيف كان التَّفسِير في عَصْرِهِم ؟

4- تحدَّث عن التَّفسِير في عهد التّابِعِين وما مَنْهَجُهم فيه ؟، ومَنْ أَشْهَر المفَسِّرين مِنْهم ؟

5- متى بَدَأ عَهْدُ التَّدوينِ للتَّفسِير ؟، وما مَزايا التَّفسِير في تلك الفَترة، وأشهَر المؤلَّفات فيه.

6- كيف تَطَوَّر التَّفسِير بعد عهد التّابعين ؟، وكيف كانت طَرِيقَة المفَسِّرين ؟، وما أشهَر المؤلَّفات في التَّفسِير والطّابع العِلمِيّ الذي غَلَب عليها.

7- تحدَّث عن التَّفسير في العَصْر الحديث، مُوَضِّحاً ما يلي:

(أ) تاريخ بِدايَة النَّهضَة الفِكْرِيَّة الحدِيثَة وسَبَبها.

(ب) مَسْلَكُهم في التَّفسير.

(ت) أشْهَر المؤلِّفِين في التَّفسِير في ذلك العَصْر.

المبحث الثّالث: مَناهِجُ المُفَسِّرينَ

مَناهِجُ المُفَسِّرِينَ

يَظْهَر ممّا سَبَق أنَّ المفَسِّرين سَلَكوا أحَدَ مَنْهَجَيْن:

1- مَنْهج التَّفسِير بِالمأثور: وهو مَنْهَج التَّفسِير بِالرِّوايَة.

2- مَنْهَج التَّفسِير بِالرَّأي: وهو مَنْهَج التَّفسِير بِالدِّرايَةِ.

أوّلاً: التَّفسِير بِالمَأثورِ:

تعرِيفُه:

هو تَفسِير القُرآنِ بِالقُرآنِ، أو بِالسُّنَّةِ، أو بِأَقْوالِ الصَّحابَة، أو التّابِعِين, وهذا التَّفسِير يَبْحَثُ عن تَفْسِير الآيَة في المواضِع المذكُورَةِ، ولا يجتَهِد صاحِبُه مِن غَيْرِ أَصْلٍ، ويتَوقَّف عمّا لا طائِلَ تحتَه ولا فائِدَةَ في معرفته، كَلَوْن كَلْبِ أصحابِ الكَهْفِ، وعَصا موسى مِن أيِّ الشَّجَرِ كانت، ونحو ذلك، وعلى هذا فإنَّ مَصادِرَ التَّفسِير بِالمأثُور هي:

1- القُرآن:

أيْ تَفسِير القُرآنِ بِالقُرآنِ، وهذا أَشْرَف أَنْواعِ التَّفسِير وأجَلُّها؛ ذلك أنَّ الآيَةَ قد تَرِد في مَوْضِعٍ وتَرِد آيَةٌ في مَوْضِعٍ آخَر أكثَر تَفصِيلاً، فتُفَسَّر الأُولى بِالثّانِيَة، والأمثِلَة على ذلك كَثِيرَةٌ، منها:

(أ) قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾(الفاتحة: 4)، فقد وَرَد بَيانُ المرادِ بِيَوْمِ الدِّين في مَوْضِعٍ آخَر قال تعالى:﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩ ﴾ (الانفطار: 17 - 19).

(ب) وكقوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ٣٧).

فقد وَرَد بَيان المرادِ بِالكَلِمات في سُورَةِ الأَعْراف في قوله تعالى:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(الأعراف: ٢٣).

2- السُّنَّة:

أيْ: تفسِير القُرآنِ بِالسُّنَّةِ؛ فإنَّها شارِحَةٌ له ومُوَضِّحَة لِمَعانِيه، قال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النَّحل: ٤٤).

وقد فسَّر النَّبيُّ ﷺ عَدَداً مِن الآيات ورَوَت كُتُب الحدِيثِ طائِفَة من ذلك، فَفَسَّر القُوَّةَ المذكُورة فيقوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال: ٦٠).

بقوله ﷺ:" ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْي، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْي "، وفسَّر السَّبِيلَ بِالرّادِ والرّاحِلَة, والظُّلَمَ بالشِّركِ, والحسابَ اليَسِير بِالعَرضِ.

3- أَقوال الصَّحابَة:

فإن لم تجِد التَّفسِير بِالقُرآن ولا بِالسُّنَّة فعَلَيْك بِأقوالِ الصَّحابَة رضي الله عنهم، فإنهم أعلَم مِن غيرِهِم لِما اختَصّوا بِه مِن مَشاهَدةِ الأحداثِ والوَقائِع، ومُصاحَبَةِ الرَّسولِ ﷺ وحُضورِ مجالِسِه، ولِما لهم مِن الفَهْمِ الصَّحِيحِ والعَمَل الصّالح.

4- أَقوالُ التّابِعِين:

فإن لم تجِد التَّفسِير بِالقُرآن ولا بِالسُّنَّةِ ولا بِأقوالِ الصَّحابَة فقد رَجَّح كثِيرٌ مِن العُلماءِ الأخْذَ بأقوال التّابِعِين الذين تَلَقّوا التَّفسِيرَ عن الصَّحابَةِ لِما في التَّلَقِّي عن الصَّحابيّ مِن مَزِيَّة عن غَيرِه، وقد أخذ بعض التّابِعين التَّفسِير كلَّه عن الصَّحابَة كما قال مجاهد:" عرَضْت المصحَف على ابن عباس ثَلاث مَرّاتٍ، أسْتَوْقِفُه عند كُلّ آيَةٍ وأسأَلُه عنها ". ويشتَمِل تَفسِير ابن جرير الطَّبَريّ على كَثِيرٍ مِن تَفسِير التّابِعِينَ.

حُكْمُ التَّفسِير بِالمَأثورِ:

التَّفسِير بِالمأثور إذا صَحّ سَنَدُه يجِب الأَخْذُ بِه، ولا يَصِحّ العُدولُ عنه.

الإسْرائِيلِيّات:

وهي القَصَص والأخبارُ المروِيَّة عن بني إسرائيل (أو النَّصارى)، وتتعَلَّق بِقَصَص القُرآنِ وأخباره، وذلك أنَّه قد دَخَل في الإسلامِ بعض أهل الكِتاب مِن اليهود والنَّصارى، وقد قَرأوا في كُتُبِهم (التَّوراة والإنجيل) تَفصِيلَ بعض القَصَصِ التي أَوْرَدَها القُرآن، فلمّا دَخَلُوا في الإسلامِ صاروا يخبِرون بهذه القَصَصِ، فدَخَلَت مجالَ التَّفسِير بِالمأثُور. والإسرائِيلِيّات لها ثَلاث حالاتٍ:

1- أن تُوافِق ما جاء في شَرْعِنا: فَحُكْمُها القَبولُ لا لِذاتها، وإنَّما لَمّا وافَقَتْ شَرْعَنا، وما جاء في شَرْعِنا غُنْيَة عنها.

2- أن تخالِفَ شَرْعَنا: فيجِب رَدّها وعَدَم الأخذِ بها.

3- أن لا تُوافِقَ ولا تُخالِف ما جاء في شَرْعِنا: فتَجوز رِوايَتُها ولا نُصَدِّقُها ولا نُكَذِّبها لِقولِ الرَّسول ﷺ:" لا تُصَدِّقوا أهلَ الكِتابِ ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا آمَنّا باللهِ وما أُنزِلَ إلينا " الآية. رواه البُخاري.

ثانياً: التَّفسِير بالرَّأي:

المُراد بالتَّفسِير بالرَّأْي:

التَّفسِير بالاجتِهاد، ولا يخلُو أن يَسْتَنِد صاحِبُه إلى الكتاب والسُّنَّة أم لا، ولهذا فإنَّ التَّفسِيرَ بِالرَّأيِ ينقسِم إلى قسمين:

1- التَّفسِير بِالرَّأي المَحْمُودِ:

وهو التَّفسِيرُ الذي يَسْتَنِد فيه صاحِبُه على النَّقْلِ عن رَسولِ اللهِ ﷺ وعن أصحابِه رضي الله عنهم، والأَخْذ بمطْلَق اللُّغَة وبما يَقْتَضِيه الكَلامُ ويدُلُّ عليه قانون الشَّرْعِ، وهذا النَّوع مِن التَّفسِير بهذه الصِّفاتِ جائِزٌ.

2- التَّفسِير بِالرَّأي المَذمُوم:

وهو التَّفسِير الذي يَعْتَمِد فيه المفَسِّر على فَهْمِه الخاصّ واسْتِنباطِه بِالرَّأي المجَرَّد مِن غَيرِ دَلِيلٍ.

وهذا النَّوع مِن التَّفسِير حَرام ولا يجوزُ؛ لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء: ٣٦).

ولقولِ الرَّسولِ ﷺ:" مَن قال في القُرآنِ بِرَأْيِه أو بما لا يَعْلَم فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَه مِن النّارِ "، وفي رِوايَة:" مَن قال في القُرآنِ بِرأيِه فأصابَ فقد أَخْطأ ".

الأسئِلَة:

1- للتَّفسِير مَنْهَجان أساسيّان، أُذكُرهما.

2- عَرِّف التَّفسِيرَ بِالمأثورِ، وما هي مَصادِرُه مع الشَّرح والتَّمثِيل ؟.

3- ما حُكْم الأَخْذ بِقَوْل التّابِعِيّ في التَّفسير ؟

4- ما حُكْم التَّفسِير بالمأثور ؟

5- عَرِّف الإسرائِيلِيّات, ولماذا سُمِّيت بذلك ؟، وما حُكْم الأخذِ بها ؟

6- ما المراد بالتَّفسِير بالرَّأي ؟، وما هي أقسامُه ؟، مع التَّعريفِ بِكُلِّ قِسْمٍ منها، وبَيانِ حُكْمِهِ.

المَبْحث الرّابع: التَّعريف بأهمّ كُتُب التَّفسِير

أشْهَر كُتُب التَّفسِير

المؤلَّفات في التَّفسِير كَثِيرَةٌ جِدّاً، وسنَذكُر بعضَ المؤلَّفات في التَّفسِير بالمأثورِ مع تَعرِيفٍ مُوجَزٍ بمؤلِّفِيها، ثم نَذكُر بعضَ المؤلَّفات في التَّفسِير بِالرَّأيِ، مع تَعْرِيفٍ مُوجَزٍ – أيضاً – بمؤلِّفِيها.

أَشْهَر الكُتُبِ المُؤَلَّفَةِ في التَّفسِير بِالمَأثورِ، ومُؤَلِّفوها:

أوّلاً: جامِع البَيان عن تَأوِيلِ آي القُرآنِ:

مُؤَلِّفُه:

محمَّد بن جرير الطَّبَرِي، وُلِدَ سنَةَ (224 هـ)، وتوفي سنة (310 هـ)، مِن عُلَماءِ المسلِمِين بِالتَّفسِير، له مُؤلَّفات كَثِيرة، منها: (تارِيخ الأُمَم والملوك).

تَفْسِيره:

اسمُ تَفْسِيره: ((جامِع البَيان في تَأْوِيل آي القُرآنِ))، ويُعْرَف بـ: ((تَفسِير الطَّبريّ))، وكتابُه مِن أجلِّ كتُب التَّفسِير بِالمأثور وأفْضَلِها وأصَحِّها وأجمَعِها.

قال النَّوويّ:" كِتاب ابن جَرير في التَّفسِير لم يُصَنِّف أَحَدٌ مِثْلَه ". عَرض فيه أقوالَ الصَّحابَةِ والتَّابعين مع عِنايَتِه بالاستِنْباط والتَّرجِيحِ، وبيانِ ما خَفِيَ مِن الإعراب، ويَقَع هذا التَّفسِير في اثنين وثَلاثِين جزءاً، وطُبِع مِراراً في اثني عَشَر مجلَّداً، ثم قام الشَّيخان محمود وأحمد شاكِر بتَحقِيقِه وتخرِيجِ أحادِيثِه أصدرا منه سِتَّة عَشَر مجلَّداً حتى الآن.

ثانياً: مَعالِم التَّنزِيل:

مُؤَلِّفُه:

الحسين بن مَسعود البَغَوِي: فَقِيه، مُفَسِّر، محدِّث، توفي سنة (510 هـ)، وقد جاوَز الثَّمانِينَ عاماً.

تفسِيره :

اسمُ تفسِيره: ((مَعالم التَّنزِيل))، ويُعرَف باسمِ: ((تَفسِير البَغَوِي))، قال ابن تيمية عن البَغَوِي:" صانَ تَفسِيرَه عن الأحادِيث الموضوعَة والآراء المبتَدَعَة "، ومع أنَّ فيه بعضَ الإسرائِيلِيّات إلّا أنَّه في

جملَتِه أسلَم مِن كَثِيرٍ مِن المؤَلَّفات في التَّفسِير بِالمأثور، وطُبِعَ مع تَفسِير الخازِن، كما طُبِع مع تَفسِير ابن كثير، ثم طُبِع مُستَقِلّاً في أربعَة مجلّدات.

ثالثاً: تَفسِير القُرآنِ العَظِيم:

مُؤَلِّفُه:

الحافِظ عِماد الدِّين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدِّمشقِيّ، وكُنْيَته (أبو الفِداء)، وُلِد سنة (705 هـ) وتوفي سنة (774 هـ), أخَذ عن ابنِ تَيْمِيَّة وتابَعه في كَثِيرٍ مِن آرائِه، قال عنه الذَّهبِيُّ:" هو الإمام المفتِي، المحدِّث البارِع، فَقِيه مُتَفَنِّن، محدِّث مُتْقِن، مُفَسِّر نَقّالٌ، وله تَصانِيف مُفِيدَة "، ومِن مُؤَلَّفاتِه:" البِدايَة والنِّهايَة " مِن أَشْهَر المؤَلِّفات في التّارِيخِ وأَوْسَعِها.

تفسِيرُه:

اسم تَفسِيره: ((تَفسِير القُرآنِ العَظِيم))، ويعرَف بـ: ((تفسِير ابن كَثِير))، مِن أشهَر كُتُبِ التَّفسِير بالمأثور، ويُعَدّ في المرتَبَةِ الثّانِية بعد تَفسِير ابن جَرِيرٍ الطَبَرِيّ يَعْتَنِي عِنايَةً فائِقَةً بالأحادِيث والآثار مُسْنَدَةً إلى أصحابها مُتَكَلِّماً أحياناً عن إسنادِها، وعن رِجالها بالجرحِ والتَّعدِيل، ورَدّ الأحاديث المنكَرَة، وطَرِيقَتُه في التَّفسِير أنَّه يُورِد الآيَة أو الآيات ثم يُفَسِّرها بِعِبارَةٍ مُوجَزَةٍ ويَذكُر الشَّواهِد مِن الآيات الأخرى، ويُقارِن بين هذه الآياتِ حتى يُظْهِر المعنى المرادَ، مع الاسْتِشهادِ بالأحاديث وبَيانِ دَرَجَتِها أحياناً، مع عَدَم الإطالَة بمباحِث الإعرابِ والبَلاغَة أو الاسْتِطرادِ لِعُلومٍ لا يُحتاجُ إليها لِفَهْم النَّصِّ ولا لِلتَّفَقُّه فيه, وقد طُبِع هذا التَّفسِير عدَّة طبعات، منها ما طُبِعَ في أربعَة مجلَّدات كِبار.

ومِن أشهَر المُؤلَّفات في التَّفسِير بِالمَأثورِ غير ما ذَكَرْنا:

1- تَفسِير ابن أبي حاتِم.
2- تفسِير المحرَّر الوَجِيز في تفسِير الكِتابِ العَزِيز، المعروف بتَفسِير ابن عَطِيَّة.
3- تفسِير بحر العُلوم لأبي اللَّيث السَّمَرقَنْدِي.
4- الكَشْف والبَيان عن تفسِير القُرآن لأبي إسحاق الثَّعلَبِي.
5- الدُرّ المنثور في التَّفسِير بِالمأثور لِجلالِ الدِّين السُّيوطي.
6- فَتْح القَدِير لِمحمَّد بن عَلِي الشَّوكاني.

أشهَر الكُتُب المُؤَلَّفَة في التَّفسِير بِالرَّأيِ، ومُؤَلِّفوها:

أوّلاً: مَفاتِيح الغَيْبِ:

مُؤَلِّفُه فخر الدِّين بن عمر الرّازي، وُلِد سنة (544 هـ)، وتُوفِيَ سنة (606 هـ)، كان بارِعاً في العُلومِ العَقْلِيَّة واللُّغة والتَّفسِير، وهو مِن أَشْهَر فَلاسِفَة عَصْرِه.

تفسِيرُه:

يشتَمِل هذا التَّفسِير على كَثِيرٍ مِن المباحِث الفَلْسَفِيَّة والمسائِل الكَلامِيَّة رَدّ فيها على المعتَزِلَة والفرق الضّالَّة بِالحجَجِ الدّامِغَة والبَراهين القاطِعَة، واهتَمَّ بِبَيانِ المناسبات بين الآياتِ والسُّوَرِ واعتَنى بالعلوم الرِّياضِيَّة والطَّبِيعِيَّة والفَلَكِيَّة والفَلْسَفِيَّة والطِّبِيّة ، فتَكَلَّم عن الأفلاكِ، والأبراجِ، والسَّماء، والأرضِ، وعن الإنسانِ والحيوانِ بِشَكْلٍ واسِعٍ حتى أصبَح تَفسِيرُه مَوسوعَة عِلْمِيَّة، ولهذا قال بعضهم عن هذا التَّفسِير: فيه كلّ شَيْءٍ إلّا التَّفسِير، ولا يُنقِص هذا مِن مَكانَةِ هذا التَّفسِير كَثِيراً، فهو تَفسِيرٌ قَيِّم.

ثانياً: الكَشّاف:

مُؤَلِّفه: محمود بن عُمَر الزَّمخشَريّ، ولد سنة (467 هـ)، وتُوفِيَ سنة (538 هـ)، ولد في زَمَخْشَر مِن قرى خَوارِزم، ودَرَس فيها ثم رحَلَ إلى بخارى، ومنها إلى مَكَّة، وأقام فيها زمَناً، وبها أَلَّف تَفسِيرَه، ثم عاد إلى جرجان في خَوارِزم وتُوفي فيها، وهو مِن أَئِمَّة المعتَزِلَة.

تَفسِيرُه:

اسمه: ((الكَشّاف عن حَقائِقِ غَوامِضِ التَّنزِيل وعُيون الأَقاوِيل في وُجوهِ التَّأوِيل))، ويُعرَف بِـ: ((تَفْسِير الكَشّاف))، وهو مِن أشهَر كُتب التَّفسِير بِالرَّأي، اعتنى فيه مُؤَلِّفه بمذهَبِ المعتَزِلَة وتَأوِيل القُرآن الكريم وفْقَ عَقِيدَتهم الباطِلَة، ويَدُسّ ذلك دَسّاً، كما اعتَنى بِاللُّغَةِ والبَلاغَةِ، وهو إمامٌ بارِعٌ فيهِما يَرجِع إليه كَثِيرٌ مِن العُلماء في ذلك، وطُبِع هذا التَّفسِير في أربعَة مجلَّدات، ومعه كِتاب ((الانتِصاف)) لابن المنَيّر الذي يَكْشِف اعتِزاليات الزَّمخشَرِيّ ويَرُدّ عليها بإيجازٍ.

ثالِثاً: أنوارُ التَّنزِيل وأسرارُ التَّأوِيل:

مُؤلِّفه: القاضِي ناصِر الدِّين أبو الخير عبد الله بن عمر البَيْضاوي، تَولَّى القَضاء في شِيراز، وتوفي في تبريز سنَةَ (685 هـ).

تَفْسِيره:

اسمه: ((أنوارُ التَّنزِيلِ وأسرارُ التَّأوِيل))، ويُسمَّى بـ:((تفسير البيضاوي))، وهو تَفْسِيرٌ استَمَدَّه صاحِبه مِن الكشّاف لِلزَّمخشَرِي، ومِن التَّفسِير الكَبِير لِلفَخْر الرّازي، وضَمّ إليه بعضَ الآثارِ الوارِدَة عن الصَّحابَة والتَّابِعين، كما أضاف إليه نُكَتاً عِلْمِيَّة بارِعَةً ولَطائِفَ رائِعَة واسْتِنباطات دَقِيقَة، وذلك بِعِبارَةٍ مُوجَزَةٍ، فجاء هذا التَّفسِير أقرَب إلى المختَصر، ولذلك عَلَّق عليه كَثِيرٌ مِن العُلَماءِ بحواشٍ مختَلِفَة، وطُبِع مَرّات عَدِيدَةٍ.

رابعاً: تَفسِير الجَلالَيْنِ:

وهو مِن تَأليفِ الإمامَيْن: جلال الدِّين المحلِّي الذي وُلِدَ سنَة (791 هـ)، وتوفي سنة (864 هـ)، وجلال الدِّين السُّيوطي، وُلِد سنة (849 هـ)، وتوفي سنة (911 هـ)، ويسمَّى ((تفسِير الجلالَيْن))، وقد بدأ بِتَأليفِه جلال الدِّين المحلِّي وتُوفي قبل أن يُتِمَّه، فأكمَله جلالُ الدِّين السُّيوطي، وهو تفسِير قَيِّم، وعِبارَتُه مختَصرة، طبع مَرّات عَدِيدَة.

خامِساً: البَحْرُ المُحِيط:

ومُؤَلِّفه: أبو عبد الله محمّد بن يوسف المعروف بأبي حَيّان الغرناطِي الأندُلِسي، ولد سنة (654 هـ)، وتوفي بمصر سنة (745 هـ)، كان على عِلْمٍ واسِعٍ في التَّفسِير والحدِيث والنَّحوِ وتَراجِم الرِّجالِ وخاصَّة المغارِبَة.

تَفسِيرُه:

واسمه: البَحْر المحيط، وعُرِف هذا التَّفسِير بِالتَّوسُّع بِالمسائِل النَّحويَّة ووجوهِ الإعرابِ وذِكْر تَفصِيل الخِلاف بين النَّحوِيِّين في ذلك حتى كاد أن يُصبِح التَّفسِير كِتاباً في النَّحو، ونَقَل مُؤَلِّفه كَثِيراً مِن المسائِل عن الزمخشري وابن عطيَّة، ويَتعقَّبها بالرَّدِّ ويحمِل على الزَّمخشَريّ لآرائِه الإعتِزالِيّة ويُشِيد بمهارَتِه في الجوانِب البَلاغِيَّة، كما أنَّه يَعْتَمِد على تَفسِيرِ شَيْخِه المعروف بابن النَّقِيب.

أشهَرُ المُؤلَّفات في العَصْرِ الحَدِيثِ

أوّلاً: تَفسِير المَنار:

مُؤلِّفه: الشَّيخ محمَّد رَشِيد رِضا، ولد سنة (1282 هـ) في طرابلس الشّام مِن تَلامِيذ الأستاذ محمَّد عبده، أصدَر مجلَّة المنارِ وصارَ ينشُر فيها هذا التَّفسِير، ثم طَبَعَه مُستَقِلّاً، توفي بمصر سنة (1354

هـ) بالسَّكتَة القلبِية وهو في السَّيّارة عائِداً مِن المطارِ بعد وداعِه لِلمَلِك سعود بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.

تَفسِيرُه:

اسمه: ((تَفسِير القُرآن الحكيم)) ويعرف بـ:((تفسِير المنار))، وكان الشَّيخ رَشِيد يحضُر دُروسَ الأستاذ محمَّد عبده في التَّفسِير ويدوِّنها، ثم يَنشُرها في مجلَّتِه المنار، ثمَّ بعد وَفاةِ أُستاذِه أتمَّ التَّفسِيرَ بِنَفْسِه إلى الآية (101) مِن سورَة يُوسف، وذلك في اثني عشَر مجلَّداً.

وهذا التَّفسير مِن كتُب التَفسِير بالرَّأي خاصَّة في أجزائِه الأولى، وقد مالَ الشَّيخ رَشِيد بعد وَفاةِ أستاذه إلى الاستِشهاد بالأحاديث وإلى تفسِير القُرآن بالقرآنِ، كما يَتَمَيَّز هذا التَّفسِير بِالعِنايَة بالإصلاحِ الاجتِماعي وبيانِ سُنَن اللهِ في المجتمَعات، والرَّدّ على ما يُثِيره أعداء الإسلامِ مِن شُبُهات.

ثانياً: في ظِلالِ القُرآن:

مُؤَلِّفه: الأستاذ سَيّد بن قُطب بن إبراهيم، ولد في أسيوط سنة (1324 هـ)، وتخرَّج في مَدْرَسَة دار العلوم، ثم اشتَغَل بالتَّدرِيس، ثم تَوَلى عَدداً مِن الوَظائِف، وذهب إلى أمريكا وعاد إلى مِصر، وقد زاد تمسُّكاً بالدِّين فاتَّجه إلى الإصلاحِ الدِّينيِّ في مِصْر فأعدَمَه جمالُ عبد النّاصِر سنة (1386 هـ)، وله مُؤلَّفاتٌ كثِيرَة.

تفسِيره:

وهذا التَّفسِير تفسِيرٌ شامِلٌ لِلحَياةِ في ضَوءِ القُرآن الكريم، عاشَ مُؤَلِّفُه يَتَذَوَّق القُرآنَ وحَلاوَتَه ويتَذوَّق ما يُدرِكُه مِن جَوانِبها ثم يُدَوِّنه، ومِن هنا فإنَّه يَتَكَلَّم أوّلاً عن أهدافِ السُّورة عامَّة، ثم يُفَصِّل ذلك فيأتي بالنَّصّ ويتَفَيَّأ ظِلاله ويَقطف مَعانِيه وينشُر أريجَه ويَضرِب صَفْحاً عن المباحِث اللُّغوِيَّة والمسائِل الفِقْهِيَّة، ويتَّجِه إلى عَرْض مَنْهَجِ الإسلامِ في الحياة، ويتَوَسَّع في ذلك كاشِفاً جَوانِب زَيْف الحضارَة الغَرْبِيَّة، مع العِنايَة بَتَصحِيحِ المفاهِيم وتَوجِيهِ النّاسِ التَّوجِيهَ السَّلِيم, وقد لاقى تَفسِيرُه القَبولَ بين المسلِمِين وطبع مَرّات عَدِيدَةٍ، والطَّبعات الحدِيثَة في سِتّة مجلَّدات.

ثالثاً: أضْواء البَيان في إيضاحِ القُرآنِ بِالقُرآن:

مُؤَلِّفه:

الشَّيخ محمَّد الأمين بن المختار الجكني الشّنقِيطي، ولد سنة (1325هـ) في شنقِيط بموريتانيا، ودرس فيها وحَفِظ القرآن ونَبَغ في العلوم الشَّرعِيَّة، ثم رَحَل إلى الحجّ فلمّا وَصَل إلى السُّعودِيَّة اتَّصَل بعلمائها، وقرأ كُتُبَ الدَّعْوَةِ فأحَبّ الإقامَةَ، وطَلَب الإذْنَ له بِالتَّدرِيس في المسجِد النَّبوِيّ، ثم درَّس في المعهد العِلمِيّ بِالرِّياض، ثم في كُلَّيتي الشَّرِيعَة واللُّغة العربية، ثم مُدَرِّساً في الجامعة الإسلامِيَّة بالمدينة إلى أن تُوفي رحمه الله تعالى سنة (1393 هـ) بمكَّة المكرَّمة، وله مُؤَلَّفات عَدِيدَة.

تفسِيره:

يُعتَبر هذا التَّفسير مِن أفضَلِ المؤَلَّفات في العَصْر الحدِيث، وقد اعْتَنى فيه مُؤَلِّفُه بِأمْرَين:

الأوَّل: تَفسِير القُرآنِ بِالقُرآنِ.

الثّاني: تَفسِير آياتِ الأحكامِ.

واشتَمل على تحقِيقِ بعضَ المسائِل اللُّغَوِيَّة والأُصولِيَّة وأسانِيد بعض الأحاديث، ويظهَر في الكتاب سعة أُفُقِ المؤَلِّف ودِقَّة الاستِنباط مع العِنايَة بِالتَّرجِيحِ مِن غَيْرِ تَعَصُّبٍ لِمَذهَبٍ، ولا تجِد تَفسِيراً في العَصْر الحديث يَعْتَني بِتَفْسِير القُرآنِ بِالقُرآن مِثْله أو يُقارِبُه, ويقَع هذا التَّفسِير في نحو عَشرَة مجلَّدات.

رابِعاً: تَيْسِير الكَرِيم الرَّحمنِ في تَفْسِير كَلامِ المَنّان:

مُؤَلِّفه:

الشَّيخ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي، وُلِدَ في عُنَيْزَة بالقَصِيم سنة (1307 هـ)، تُوفِّيَت والِدَته وهو في الرّابِعَة فَكَفَلَتْه زَوْجَة والِدِه وعَطَفَت عليه أكثَر مِن عَطْفِها على أولادِها ورَبَّتْه فأحسَنت تَرْبِيَتَه، وأدخلته مدرسَة تحفِيظِ القُرآنِ فحَفِظَه صَغِيراً ثم اشْتَغَل بِطَلَبِ العُلومِ الشَّرعيَّة كالتَّوحِيد والتَّفسِير والحديث والفِقْه حتى فاقَ أقْرانَه، توفي رحمه الله سنة (1376 هـ)، وله مُؤَلَّفاتٌ عَدِيدَة.

تفسِيره:

اعتنى مُؤَلِّفه رحمه الله تعالى بالمعنى الإجمالي لِلآيات مِن غيرِ اسْتِطرادٍ إلى ما يَتَفَرَّع مِن ذلك، ولم يشتَغِل بالألفاظِ والمفرداتِ والجوانِب اللُّغوِيَّة والبَلاغِيَّةِ والإعرابِ اكتِفاءً كما قال رحمه الله تعالى بما قدَّمَه المفسِّرون مِن قَبْلِهِ، فهذا التَّفسِير يميلُ إلى الاختِصارِ وعَدَمِ الإطنابِ، ومع هذا فهو في سَبْعَة

مجلَّدات، وقد اختَصَر هذا التَّفسِير في كتاب سمّاه: ((تيسِير اللَّطِيف المنّان في خُلاصَةِ تَفسِير القُرآنِ)).

والله أعلم.

الأسئِلَة:

1- أُذكر أشهَر الكُتُب المؤَلَّفة في التَّفسِير بالمأثور، مع تَعرِيفٍ مُوجَزٍ بِكلٍّ منها وبمؤَلِّفِه.

2- أُذكر أشهَر الكُتُب المؤَلَّفَة في التَّفسِير بِالرَّأيِ، مع تَعرِيفٍ مُوجَزٍ بِكلٍّ منها وبمؤَلِّفِه.

3- اذكُر بعضَ الكُتُبِ المؤلَّفَةِ في التَّفسير في العَصْر الحديث.

أهمّ المَراجِع لِمُقَرَّر عُلومِ القُرآن الكريم

1- البُرهان في علوم القرآن — برهان الدّين الزّركشي.

2- مَناهِل العرفان في علوم القرآن — الشيخ محمد عبد العظيم الزّرقاني.

3- مَباحِث في علوم القرآن — الشيخ: مناع القطّان.

4- التَّفسير والمفسِّرون — الشيخ محمد حسين الذَّهبي.

5- مَباحِث في علوم القرآن — د. صبحي الصّالح.

6- دِراسات في علوم القرآن الكريم — أ.د: فهد الرومي.

الفهرس

الباب الأوّل: نشأة علوم القرآن، وتطوّرها، وتعريفها: 4

المبحث الأوّل: نشأة علوم القرآن الكريم 5

نشأة علوم القرآن الكريم 6

تطوُّر علوم القرآن الكريم 7

الأسئِلَة: 8

المبحث الثّاني: التَّعريف بعلوم القرآن 9

علوم القرآن الكريم 10

الفرق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسيَّة 11

أسماء القرآن الكريم وصفاته 12

الأسئِلَة: 12

الباب الثاني: نُزولُ القرآنِ الكريم 14

نزول القرآن الكريم: 15

الباب الثالث 17

المبحث الأول: جمع القرآن الكريم 17

المقصود بجمع القرآن الكريم 18

أولاً: جمعه بمعنى حفظه: 18

ثانياً: جمعه بمعنى كتابته وتدوينه: 18

المرحلة الأولى: جمعه في عهد ﷺ: 18

ولم يجمع ﷺ القرآن كما قلنا في مصحف واحد لأسباب منها: 18

ثالثاً: جمع القرآن بمعنى تسجيله: 21

المبحث الثّاني: ترتيب الآيات والسُّور..... 25
الآيات والسُّور 26
الأسئِلَة: 30
الباب الرّابع: الوحي..... 31
الوحي 32
الباب الخامس: المكِّي والمدني 35
المكِّي والمدني 36
ضَوابط السُّور المكيَّة والمدنيَّة: 37
مميزات السُّور المكِيَّة والمدنِيَّة:..... 37
الأسئِلَة:..... 39
الباب السّادس: أسباب النُّزول 40
أسباب النُّزول..... 41
الباب السّابع: الأحرف السَّبعة 43
الأحرف السَّبعة 44
الأسئِلَة:..... 46
البابالثامن: المحكم والمتشابه 47
المحكم والمتشابه 48
حكمة ذكر المتشابهات: 50
الأسئِلَة: 51
الباب التّاسع: العام والخاص 52
العام والخاص 53

صيغ العموم: 53
أقسام العام: 54
تعريف الخاص، وبيان المخصص: 55
الأسئِلَة: 56
الباب العاشر: النّاسخ والمنسوخ 58
الناسخ 59
أقسام النَّسخ: 60
أنواع النَّسخ في القرآن الكريم: 62
أدلة ثبوت النَّسخ عقلاً وسمعاً: 63
أمثلة لبعض الآيات التي اشتهرت بأنها منسوخة: 64
الأسئِلَة: 67
الباب الحادي عشر: المطلق والمقيَّد 69
المطلق والمقيَّد 70
الأسئِلَة: 71
الباب الثّاني عشر: المنطوق والمفهوم 72
المنطوق والمفهوم 73
الأسئِلَة: 75
الباب الثّالث عشر: إعجاز القرآن الكريم 76
إعجاز القرآن الكريم 77
وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: 78
الأسئِلَة: 79

الباب الرّابع عشر: قصص القرآن الكريم 80
قصص القرآن الكريم 81
الأسئِلَة: 83
الباب الخامس عشر: أمثال القرآن الكريم 84
الأمثال في القرآن الكريم وأنواعها 85
فوائد الأمثال في القرآن الكريم: 86
الأسئِلَة: 86
الباب السّادس عشر: رسم المصحف 87
المراد برسم المصحف 88
حكم رسم المصحف: 88
قواعد رسم المصحف 89
مزايا الرَّسم العثماني: 92
الأسئِلَة: 92
الباب السّابع عشر 94
المبحث الأول: التفسير والتأويل 94
التَّفسير والتَّأويل 95
آداب المفَسِّر: 96
الأسئِلَة: 96
المبحث الثاني: نشأة علم التَّفسير 98
نشأة علم التَّفسير 99
تفسير القرآن في عهد الصحابة رضي الله عنهم 99

التَّفسير في عهد التّابعين:..... 100
التَّفسير بعد عهد التّابعين: 100
التَّفسير في العصر الحديث:..... 101
الأسئِلَة: 102
المبحث الثالث: مناهج المفسِّرين..... 103
مناهج المفسِّرين 104
أولاً: التَّفسير بالمأثور:..... 104
ثانياً: التَّفسير بالرأي: 106
الأسئِلَة: 106
المبحث الرابع: التَّعريف بأهم كتب التَّفسير 108
أشهر كتب التَّفسير..... 109
أشهر الكتب المؤلَّفة في التَّفسير بالمأثور ومؤلّفوها: 109
أشهر الكتب المؤلَّفة في التَّفسير بالرأي ومؤلّفوها:..... 110
أشهر المؤلفات في العصر الحديث 112
أهم المراجع لمقرر علوم القرآن الكريم 116